

TIGHT BINDING BOOK

Flying text within the
book only.

Drenched book.

UNIVERSAL
LIBRARY

OU_190506

UNIVERSAL
LIBRARY

ديوان الفكاكة

رواية

مكتوبات ياس

تعريب الياس اسكندر الخوري
بتصرف

القسم الثاني

مطبعة القدس جاوارجيوس للروم الارثوذكس في بيروت

سنة ١٨٩٠

مكتونات باريس

القسم الثاني

الفصل الاول

الجزيرة

لما كانت ماري تجهل مداخل باريس ومخارجها اعترضت مدام سبروفيم
وسط الطريق الذي اخذت فيه فقالت لها - لقد ضللت السبيل فان طريق
بوكوفال هو غير الذي نحن سائرون فيه ويس فيو من العقبات ما نلقاه هنا
لنعدل عنه قبل ان يجهدنا المسير عبثاً

اجابتها السعلاة - خلي عنك الاعتراض على امر است انت منه بشيء
ما رأيت الاعتراض الا طمعا في الفائدة فسامحيني اذن ورزّ حيني باخبار

با على تمام المرام
باشان الموسبورودلف
شأتها

فكانت العربية قد انتهت من جريها الى باتينبول فترجلنا عندئذ
وخططنا معاً بخترفان الوادي الظليل بين اشجاره الباسقة واغصانه المتلاحجة
فسرّحت مارمي انظارها في بهجة تلك الغياض ومحاسن هاتيك الرياض لاسيما
عند ما بدت لعينها جزيرة مارسيل بحسن موقعها الطبيعي ورونقها البدعي
تحدق بها الغابات من كل جانب فتحبها ويمجى السنين امامها فيرونها . فالتفتت
حينئذ مارمي الى رفيقتها وقالت لها

- ما احسن ما نرى من بدائع الخلوقات وعجائب الخالق . سبحان من برا
- صدقت فان هذه الجزيرة من احسن البقاع تربة وهواء واطيبها ماء
وها نحن مجدون اليها
- آ اليها نسي

- نعم
- ما الغرض من الوقوف فيها ولا ناقة لنا فيها ولا جل
- كل ما يسرك فيها فان الذي سعى في نجاتك وكان عاة خلاصك
ينتظرك هناك .

- انصدقين القول

- نعم
- أرودلف نصيري هناك

- ومعة مدام جورج
- بالله حقتي هذه الاماني اكدي لي ما يسري عني الهموم
- قلت لك الحق ولا امين فلا تدفعيني لليمين

فلندعم الآن نزجون الوحد بالزميل ولنتقدم امامهم فنستطلع طلع رجال
الجزيرة ونقف على ما يدبرون فان فنولا وافلين كانا قد اعدا الثوارب والقبيا المرسة
قرب النرضة ينتظران الفريسة ويعملان الفكرة في تدبير الحملة للبطش فيها
ولما استبطا ما قالت افلين لاختي أرى ان لا نضيع الزمان في الانتظار عبثاً وقد

ابطأ الرسول في القدوم عن الموعد الذي ضرب له فلنسرع اذن الى نزل
القلب الدامي حيث ينتظرنا البومة وبرابليون للايقاع بالجوهريّة

- احسنت ولكن لا باس اذا انتظرنا قليلاً حتى اذا تاخرا طويلاً عن

المجيء سرنا مع والدتنا الى حيث تسيرين

- أما دريت يا نقولا بالخبر الذي اذاعته والدتي عن مارسيال

- ما هو

- انها ارجفت بانه قد اعتراه مرض عضال يعز عليه الشفاء منه

- كيف تم لها ذلك

- بينما كانت ذاهبة اليوم الى اسنار التفت بفירות الصياد فاخبرته بان

صديقه مارسيال على خطر الموت

- لقد احسنت في اختيار هذه الحيلة

- وما يهد لنا سبيل الفوز ان ليس اديبو في الحجرة ما يسعده على

الخروج منها

- من اين له الخروج والباب مضغ بالحديد

- لكن قل لي ماذا يكون جوابنا على سؤال لالوف عنه عند خروجها

من السجن

- ليس الا انه قد فاضت روحه وكفى

وبينا هما يفكران سمعا والدتهما تدعو نقولا فخنق اليها بعد ان اوصى

اخيه مواصلة المراقبة في غيبته . وعند ما بلغ اليها رأى والدته في قلبي وانزعاج

من جرّاء اعمال فرنسوا واماندين فرأى بالاتفاق معها ان يعتقلها في احد

الدمايس اسفل البيت وبذلك ينجو من شرّها وعقيب ان قضى مهمته سال

امه عن مارسيال فاجابته

- قد مضى النهار كله ولم اسمع له ركراً وربما يكون قد بلغتك الحيلة

التي دبرتها ملافاة لسوء العاقبة من امر كما معه

- نعم وقد صدقتها فشكرتك عليها
- هل جاءت البومة اثناء نغبي في اسنار

- نعم ،

لَمْ لَمْ تَبْقَ هُنَا لِنَذْهَبْ مَعًا إِلَى نَزْلِ الْقَلْبِ الدَّائِي . اخاف ان تكون
قد خدعنا بوعدها وانا قد صرت في ريب من امرها

- لا تخافي يا اماء لا بد ان تأتي آجلاً او عاجلاً هي انها عدلت فليس
عندها من امرنا علم بشيء على انها باحت لنا باسرارها واطاعتنا على الطريقة التي
اتخذتها مع الاستاذ وهوي بن براروج وبرابليون توصلاً الى خطف الابنة
التي وكل اليها الرجل الطويل القامة اعدامها فسرّي يا اماء وافرحي بالكتزالذي
تحرز به قرييّا . فانهم قد وعدونا بمبلغ ثلاثين الف فرنك بدل العمل

وفياها في شاغل من هذا الحديث سمع اقلين تنادي نقولا باعلى صوتها
اسرع للحال فها ان الرسول قد بلغ الفرضة

فالتفت جميعاً نقولا الى والدته و اشار اليها ان تنزل معه ليوصلها الى البر
وجد بعد وناحمة الصوت . فلما رأى السعلاة والى جانبها الفتاة صاح بامد ان
اسرعي يا اماء بالنزول قبل فوات الوقت . فركبت القارب معها على عزم
الامير الى نزل القلب الدائمي

اما مدام سيروفيم فعندما اقتربت من نقولا همست في اذنه قائلة له . اذا
سألتك عن مدام جورج فاجبني انها على احسن ما يرام . ثم عادت الى جانب
ماري فسالت نقولا باعلى صوتها

- ما شان مدام جورج

- بكل عافية وهناء .

اما ماري فلما رأت الارملة وولديها اضطربت اعضاؤها واكدت لونها
واشدت ضربان قلبها حتى كادت تهوي من الضعف والخوف لكن ذكر اسم مدام
جورج احيى في قلبها روح الامل فانتعشت وقالت

١- هل هي بانتظارنا

- نعم تعد الثواني

- فبالله اذن لنمعن في السير

فصاحت اذ ذاك مدام سيروفيم بنقولا قائلة له اذن من الشاطئ بفاربك
ولما دنا همست باذنه (نذكر ما وعدت به)

فأومى اليها برأسه علامة الرضى والايجاب ولما تنبأوا جميعهم منازلهم في
القارب اخذ نقولا يجذف بكل عزيمة ليحقق بشقيقته وفيما هم في اثناء المسير اشار
نقولا الى افلين اشارة استغلق مفادها على مدام سيروفيم وماري اللتين كانتا
جالستين في مقدم القارب بعيدتين من اصحابه

الفصل الثاني

طابخ السم آكلة

قبل ان ناتي على تفصيل ما جرى في القارب من الحوادث المفجعة رأينا ان
نذكر ما حدث في دار سجن سان لازار عقيب ان زايلته ماري تصحبها مدام
سيروفيم قيمة المسجل جاك فراند

بعد ان اوحشت ماري دار السجن لتونس ديار الغدر والظلم قسراً
وعنوة صدر العنوب اخلاء سبيل بعض المسجونات وكانت لالوف في جملة من
اصابهم العنوة . فهذه المرأة حالما بلغتها البشرية اخذت تجد في السير على طريق
حبيبها مارسيال الذي كانت تنوق لمرآه فركبت العربية رغبة في العجلة الى ان

تيسر لها الوصول الى الفرضة قبل ان بلغتها مدام سيروفيم ببضع دقائق ولما لم يكن ثم قارب تنزله للتحوّل من ضفة الى اخرى استعازت بالصبر عليها نجاد من يسعدها على نيل مرغوبها فظنّها خائنها الجلد فنهضت بسرعة تقصد ناحية جسر اسنار وكان في جيرة الموضع الذي وقفت عنده فلما انتهت اليه وجدت فيروت الصياد جالسا قباله منزلا يعمل في اصلاح شباكه. فصاحت به كالملهوف

- فيروت عليّ بفاربك دون مهل

- آه ما اسعد يومي بمراك

- ما لنا والاسهاب بالتحية عجل بالفارب

- اسفاه اني اعجز عن اجابة رغبتك

- لماذا

- ركبتي ولدي للصيد وليس في الفرضة سواه

فصاحت صيحة الاليس وقالت - لقد خابت آمالي وخفق مسعاي .

ما العمل يا فيروت

- ما الغرض من العجلة ألا يسعك الانتظار الى حين فربما يكون قد

مات الرجل الذي تقصدينه

- من تعني بمن تعني

- مارشبال وهل مادريت بخبره

- لا لله ما حل به وما نابه

- لم اسع بمرض اعتراه غير انه قد مرّ بي يومان ولم اشاهده فاستعلمت

والدنة حالة فاجابت انه اصيب بعلة معضلة وقد اشفى

- ما اظن ذلك الا اراجيف يرجفون بها لاغراض في النفس ولو صح

ما تدعيه امة او سواها لكان وصلني الخبر بكتاب منه

- آني يشأ الكتابة وهو على فراش الضني

فلما سمعت لالوف خبر خليلها مارسيل خفق فوادها من الهم والغم فتركت
 فبهوت واسرعت تعدو بسرعة البرق الخاطف ناحية القرية ولما كانت في
 شاغل من امر حبيبها لم ترافق الفارب الذي نزلته مدام سير وفيهم وماري فاستمرت
 في جريها الى ان صادفت في طريقها الكونت سان رامي والى جانبه صديقه
 الدكتور كريفون لان الكونت كان نزيلة فلم تبالي ولم تنف الا قبالة الجزيرة
 حيث احدثت بالبناء ثناءه وتحمس ولما اشتدت عليها وطأة الغم وقد وهى
 جلدتها من طول الانتظار على مثل النار رمت بنفسها في النهر تخوضه حباً
 بالوصول الى دار الحبيب وفيما هي تطفو سابحة على الماء سمعت صرخاً من الجهة
 المخاذية فارتجفت وارتاعت فوقفت برهة لتثبين الصوت ثم اسأنت السباحة
 بعزم لا يمازجه ملل وفتور

اما الكونت سان رامي والدكتور كريفون لما رأيا الابنة تعدو عدواً سريعاً
 خال لها ان في الامر باعثاً مهاباً فجدوا في اثرها الى ان بلغا الشاطئ ساعة
 الغريق

اما لالوف ما زالت تنجد وتغور الى ان ادركت الشاطئ وفيما هي صاعدة
 لاحت لها جمثة عن بعد تتلاعب بها الامواج فاسرعت اليها فرفعتها بين يديها
 الى البر وكانت جمثة المسكينة ماري
 فلما رأى الكونت حبيبها وغيرها هتف بل على صوته تشجعي يا ابنتي فما نحن
 من وراءك انصار وسنوافيك من جهة الجسر بيد ان تلاطم العباب حال دون
 اجتماعها بها

اما نقولا وافيون بعد ان انجزا المهمة وتاكدا بنجاح مسعاها تركا النهر ليتفرغا
 الى اعمالهما في غير موضع

وبعد قليل من الزمان قذفت الامواج جمثة اخرى على الشاطئ فكانت جمثة
 قيمة المسجل جاك فراند وشريكة اعماله

لكن لالوف اخذت قلب النظر في جمثة الفتاة وتخلصها الى ان عرفتها

فصاحت

اواه من ارى أماري تلك الابنة الوديمة التي تعرفت بها في السجن. من
جاء بها الى هذا المكان ومن اصارها الى هذه الحال
ولما كان الغرق قد اثر فيها فضع جسمها احتملها لالوف مسرورة واخذت
في طريق منزل الحبيب حيث عمدت الى نجاته كما يسر الله لها نجاة ماري
وكان فراند اثناء هذه الحوادث مخنّبًا وراء الكفة يرى منها ولا يرى
ولما تاكد غرق قيمته والفتاة طاب نفسًا وفرح جدًا لانه نجا باعدام ماري
من شرتلك الكلمة ويهدد بانها وباعدام مدام سيروفيم اضاع مفتاح سره
فزايل اذ ذاك موضعه قافلًا الى باريس بخطر فيها على هواه ومناه

الفصل الثالث

منزل الحبيب

لما بلغت لالوف الجزيرة وماري على يديها طافت بها فلم تجد احداً
فالقت الفتاة عند الباب وتوجهت جهة غرفة حبيبها وهناك زاد عجبها ودهشها
اذ رأتها مصفحة بالحديد فحاولت الدخول الى الدار فنقبت وبجثت فلم يتيسر
لها الدخول فجلست من الي تصيح وتنادي
- مارسيال . مارسيال ابن انت

ولما لم يسعها الوقوف طويلاً موقف الريب عمدت الى الباب فرفسته
برجلها فسمعت من داخل المكان صوتاً راعها واهالها فاصغت اليه فتبين لها

انه صوت فناء فزادت عجباً وحيرة واذ كان السلم لم تنزل مسندة الى الحائط
صعدتها لتنظر من الكوة الى داخل الدار فلحسن الطالع وجدت مفتاح الدار
فيها فاخذته بلهفة وانحدرت مسرعة الى الارض وهي تصيح انقذته انقذته

فتفتحت الباب ولم تنكد تخطو الخطوة الاولى حتى سمعت صوت الابنة من
ناحية المطبخ فبعثت اليها وكان الباب مغلقاً فخطمتها ودخلت فتلقاها اماندين
وفرنسوا فازداد سرورها بوجودهما فبعثت اليهما معالجة ماري واوعزت اليهما
ان يضرم النار بفرجها للثيب اليها روحها ثم اطردت حديثها فسالتهما

- ابن حل مارسيال

- واسفاه اعنقلوه في غرفته

- متى كان ذلك

- منذ بومين

- هل أصابوه بشر

- كلاً

فارتاح اذ ذاك بال لالوف وتوجهت جهة الدرج فطارق عليو ويدها
الفأس فعند وصولها امامه ابتدرته بضربة قوية فلم توه ثرفيو فعاجلته باخري
فتكسر ودخلت فرأت مارسيال ملقى على الارض مخضباً بالدم فانهضته بيدها
واجلسته على المتكأ واخذت تروحه بمحبتها.

اما مارسيال فكان قد آيس من الحياة فنحدرت اعضاؤه وغاب رشفه
من الوهن الذي اعتراه . لكنه لما سمع حديث لالوف وآيس من شفقتها
ولطفها روحاً جديدة فتح عينيه متنهداً وقال

- آلالوف من أرى امامي

- نعم انا هي وقد ارسلني الله لانتذك من شر الظالمين فقل لي ما شأنك

الآن وما الألم الذي تشعربه

- آه لقد زال الألم وعاد فوادي الانس والسرور

- اتحنج المآء
- لا بل الهوا
- ففتحت لالوف النوافذ وسالته
- كيف انت الآن
- اشكر الله على رحمته ومزيد نعمته التي اصابني عن يدك
- ما بال كفك دامية
- هي اثر ضربة ابتدرتني بها اقلين
- شئت بينها وما السبب في ما ارجفوه
- وما ارجفوا عني
- ان قد اصببت بمرض عضال
- لقد فهمت الآن نياتهم وما يعملون انهم شيعوا خبر مرضي مقدمة هلاكي
- لكن مالي اراك مبتلة
- اني كنت بلغت النهر فلم اجد قارباً اصل اليك فحضت العباب
- سباحة
- وقيت الردى بالوف
- وقد انذت في طريقي فتاة من شر الغرق
- من هي
- احدى رفيقاتي في السجن
- متى كان هذا
- عند قدومي اليك وابا وسط النهر
- من جاء بها الى النهر
- لم اعلم
- وما كان سبب غرقها
- اني رايت جثة تلاعب بها الامواه فدنوت منها وبعد ان تحققت عرفت

انها صديقي وكان ايضا في النهر جثة امرأة طاعنة في السن

- هل ابقي الفرق على حياة الكلمة

- كلا فانها قضت نحبها

- وما شان الابنة

- انه يرجي شفاؤها

- ابن غادرتهما

- عند اخويك

- آه دعيني انزل اليها

- ما ابداع تلك الخلفة

- الا تظنين في غرفها سرا مكنونا

- ذلك لا ريب فيه

- هيا بنا اليها

فقام مستنداً على عائق لالوف وانحدرا الى الدار وقبل ان تدخل بهما

اليها نذكر ما جرى لما ري بالقرب من فرنسوا واما ندين



الفصل الرابع

الدكتور كريفون

عقيب ان اضرم فرنسوا واماندين النار ليحدا الحرارة في جسم ماري دخل عليهم الكونت سان رامي والدكتور كريفون وكان هذا الطبيب طويل القامة نحيل البنية واضح الجبين جامعاً بين الذكاء واللطف والأدب والظرف فتقدم الطبيب من الابنة ليتفحصها وينظر في معالجتها فساله الكونت

سان رامي .

— ما رأيك —

— لا خطر في الحال بيد انه تستلزم السهر والعناية

— وفي خلال هذا الفحص دخل مارسيل مع لالوف فارعد الطبيب

من مرآه اصفر مهزولاً فسأل عن شأنه

— فاجابته لالوف . ان الرجل هوزوجي

فالتفت حيثنذر الى الطبيب وقال

— حقاً ان هذه الفتاة لنادرة زمانها وهي التي انقذت هذه الابنة من اليم

ودعم كلامه مارسيل بقوله — وقد انقذت حياتي ايضاً

فاستأنف الكونت القول حائراً وحيانك

— نعم فانظر بداي

فأنتبه حينئذ الطبيب لكلامه ونقدم من مارسيل فكشف عن جسمه
 وفحص جراحه ثم عاد الى النظر في حال ماري دون ان يفوه بكلمة
 فتقدمت اليه لالوف وسأله مرتابة من احجامه عن صديقها واجماً
 - هل ان حيائه في خطر

- كلا وعن قريب يسمعه التفرغ لعله انما يستلزم العناية وبذل الهمّة في
 مداراته كما وانه يجب مداركة حال الابنة ومن الراي بل من اللازم ان
 تبقى في مكانها نظراً لحسن المناخ وجودة الهواء

- فهتفت لالوف قلت ان تبقى هنا

- نعم وهل في البقاء من مانع يمنع

- ان اكبر الموانع يحول دون بقائها لانه قد ...

فقاطعها مارسيل الكلام مشيراً اليها بالصمت والاضراب عن ذكر ما
 جرى من المحادثات جهتهم

فلاحث الاشارة للطبيب فداخله اذ ذاك الريب فنظر الى رفيقه وهمس

في اذنه قائلاً

- ان لا آمن في هذا المقام

فصدقه الكونت وسأل مارسيل

- ما سبب الجراح التي في يدك

- انها اثر موقعة حدثت بيني وبين اخصامي

- لم أنكرت بقاء الابنة في مقامك

- ليس الا لسبب سفري القريب

- الى اين ازمعت الرحيل

- الى باريس

فقال حينئذ الكونت للطبيب - ارى ان انزل هذه الابنة في داري فمعرضها

عندي والمسافة بيننا قريبة

— احسنت وأنا اعدك ببذل ميسوري دون شنائها
 — وأنا اكون لك من الشاكرين فاني لا اقدر ان ابين السبب الذي
 حملني على ان آوي لهذه الابنة المسكينة
 فدنيت عند ذل لالوف من الكونت وقالت له : اعلم يا سيدي ان الله
 قد خص هذه الفتاة بمزايا تجذب القلوب اليها فضلاً عن ذلك ان لها صوتاً
 اطرب من رنات العود واشجى من نغمات داود
 — هل لك سابق عهدٍ معها
 — كلاً
 — كيف كان سقوطها في الماء
 — اني لا استطيع ان آتيك الحقيقة من امرها
 — ممن هي
 — لا اعلم بحسبها ونسبها
 وبعد قليل من الزمان استيقظت ماري من سباتها فحملت تشيعها لالوف
 الى دار الطبيب حيث ينزل الكونت (سان رامي)
 اما مارسيل واخوه فرنسوا واماندين فقد زابلوا الجزيرة قاصدين باريس
 وقبل ان تطلع الفاري على ما كان من امر عائلة مارسيل في نزل القلب
 الدامي حيث تالبا للفنك بدم متى الجوهريّة النازلة في شارع سان دنيس فحول
 فكره الى النظر في ما جد للبوقة مع توماس سيتون الذي دعاها اليه لامر بدالة

الفصل الخامس

الغدر

كان توماس بخاطر وقتئذٍ في جادة لا فتوار منتظراً قدوم رفيق له
فبعد الساعة الثالثة تبين له عن بعد سار يعدو اليه فتوسم فيه بارقة الامل
الى ان دنا منه فعرفه انه هو الشخص الذي كان ينتظره وكانت البومة رفيقة
الاستاذ حاملة في يدها مظناً فيه مديقه لم يرها توماس فعالما وقفت امامه ابتدرته
بهذا الكلام

— لقد تجاوزت الاجل المضروب

فأضرب سينون عن الجواب وادعى اليها ان تتبعه فدخلت حديقة فسيحة
فخطبها الى ان بلغا اخرها فعندئذ تركها توماس ومضى لشأنه
فما برحت البومة في مكانها تناجي نفسها قائلة قد تم قصدي ومرادي وعن
قريب احرز مالا جزيلاً اقوى به على كبح جماح فراند الظالم فاكتب به الى
ولبة الابنة في مزرعة بوكوفال واعمل على هلاكه في كل سبيل
وفي ذاك المحين طلعت عليها سارة ماكر كوار من وراء الادغال تثني في
مشيتها كالغزال وتحاكي بفامتها العسال

ولابد ان يسال القارىء عن السبب الذي دعا سارة الى الاجتماع بهن
كانت دونها متلة وقدراً فنقول لما كانت سارة عاجزة عن استماله رودلف اليها
اخذت تسعى في كل سبيل توصلاً اليه الى ان بدا لها تقرير ما ياتي

— ان اخبره بان ابنتنا التي ظنناها مائة لم تول حية فانيو بواحدة
 مثلها وعملًا بهذا الرأي قصدت فرأند المسجل كما علمنا قبلًا وكاشفت في هذا الامر
 فاني الاذعان لها فبعثت بطلب البومة لتكل اليها انجاز هذه المهمة وعند ما دنت
 منها البومة ابندرنها بهذا الخطاب

— أ أنت حريصة على السر

— لا احرص مني

— اتدعين لكما اشيربو اليك

— ولو كان هلاكي شرط ان تجزلي العطاء

— لك مني ما شئت من المال دون نجاح العمل

— هل ما نشيرت اليو بمسالة الابنة التي اخطفناها من مزرعة

بوكوفال

— كلاً

— اذن ما مرادك وبما تعنين

— هل لك معرفة باحد الفقراء

— أعرف منهم الوفا

— اسأل لك ابنة بهية الحسن لم تتجاوز السابعة عشرة

فاحدثت البومة في سارة وقالت — اظن ان غنية هي السبب

— ما هذه الفناء ومن تكون

— هي التي اخطفناها من المزرعة

— أهي بيعة

— نعم فاسمحي لي ان آين لك تفصيل امرها

— اوجزي المقال

— ان تورعين سلمني الابنة وعهد الي بعنايتها والاهتمام في شأنها هو الآن

في روشفور حيث يكفر عن جرمه

— ما كان يقصد هذا الرجل

— لم يفعل إلا اجابة لرغائب المسجل جاك فراند

— فتي كان هذا العهد

— منذ عشر سنوات

فصاحت سارة مدهوشة رافعة المحاذيا الى العلاء . ثم قالت — منذ عشر

سنوات عهد اليك فراند بامر هذه الابنة

— نعم وما الداعي لانذها لك ودهشتك هل رأيت في الامر عجباً او

اهتديت بحديثي الى كشف سرّ كان قد اغلق عليك من قبل فان تورفتين

اناني بها ودفع لي مبلغاً جزيلاً دون صيانتها والذود عنها

— أهى جميلة

— انها جملة الجبال

فجئت سارة حينئذ على الارض وقالت رباه وفق اعالي بتحقيق آمالي

بتقديرك ايها العزيز القدير . ثم اشارت الى البومة ان تسبعها ومشت امامها

تجنّاز الحديثة الى ان بلغت قصراً في ظاهره غرفة زجاجية ففتحت سارة الباب

ودخلت وفي اثرها البومة فدعتها الى الجلوس ثم اطنت الجرس فدخلت عليها

الجارية فاوعزت اليها ان تنكر وجودها على الزائرين

ولما خلت بالبومة اقفلت الباب وتقدمت ففتحت سماتها واخرجت منها

انوطه عليها رسم فاطمعت البومة عليه وسالتها

— انعرفين صاحبة هذا الاسم

— ان هذا هو رسم ماري لا ريب فيه وهي الابنة التي اودعنيها تورفتين

— انصدقين القول

— دون اشتباه

وخطر للبومة عندما رأت ثروة سارة ان تنفك بها للحال لكنما ترددت

برهة نسمع نتيجة حديثها فقالت لها سارة

- ان اتيتني بالتفصيل اليين عن حال الابنة اعرضت لك بالمال
- قلت لك يا مولاني اني اليك بما تريد: ين
- هل تورفين الكتابة
- كلاً
- اذن أمني عليّ ما عليّ بحفاظتك
- ولما اشتغلت سارة بالكتابة لاح للبومة وجه الغدر فاخذت المديّة التي كانت في مقلّتها بيدها اليسرى وقبل ان تحرك يدها ساّلها سارة
- متى كان عهد الوديعه
- في شهر شباط عام ١٨٢٧
- من كان الوسيط
- تورفين
- ابن يقيم الان هذا الرجل
- في سجن دوشنور
- من الذي دفعه الى اخفائها
- على ما اتصل اليّ انها مدام سيروفيم قيمة المسجل جاك فراند
- وفيما كانت سارة تراجع ما كتبت ابتدرتها البومة بطعنة شديدة الفتها
- صرعى دون حراك وقامت الى السجاية فحملت ما كان فيها من خفيف الحمل
- وغالي الثمن وفرت تنقطع الحديفة بأسرع من الظل الى ان انتهت الى الجادة
- فاستاجرت عربة تريد السير الى حانة براروج حيث تجتمع بعائلة مارسيال
- وبرايلون للائتمار على قتل مدام متى الجوهريّة

الفصل السادس

الاكتشاف

نقدّم قبلاً للقارئ تفصيل نزل القلب الدامي برسم موقعه وسكانه وما كان من امر الطبيب برادمانتي بعد مرافقته خالة المركيزة دي هرفيل فلنقم الآن فيه لنسمع ما يدور عليه حديث صاحب المنزل براروج مع ثقاف الحكومة «ناريسيس بورل» المشهور بالهمة والاقدام في باب الحكومة لا سيما في حسن دهاثو وبلائو في اقتصاص اثر اللصوص . فهذا الرجل دخل الخانة وقد ستر بردائو البسيط فدارته السادسة فخطب براروج بهذا الكلام .

— جنتك يا صاح بحاجة كبرى

— ما هي

— ان الحكومة علمت باسرارك وادركت شر...

— بالله يا سيدي بين المقال

— اتصل الى الحكومة ان نزلك غدا كف الاشرار وعزينا للصوص

ولا شقواء فاباك ان تخفي عنها امرهم واذكرها ما كان من اعالمهم وعليك مذ

الآن ان تنبذها عنهم لتتمكن من الفاء القبض عليهم

— ما خالفت لك يا سيدي امراً ولا عصيت لك فكراً وان شئت حققت

لك للحال القول بالعمل

— اذا اخلصت الخدمة وصدق في اعمالك لدن الحكومة كافا نك

جزيل المكافأة

- لا اقتضي يا سيدي الجزاء من له الفضل في بقائي وقد انفذتني بطنتك
من السجن حين قضي عليّ ان اذهب الى طولون مع الشقي امبروس (لص
باريس)

- تبالة من غادر ماكر فانه رماني بالنار مراراً ولكن الله درأ عني وقد
علمت بما تكلفت من الجهد والعناء في اقتصاص اثره حتى ادركته

- وامي ان تفوز اليوم برغائبك كلها فتلقني القبض على من نظن بسوءها

- وعدتك بالجزاء ان تقرن القول بال فعل فاياك الخداع والخيانة

- معاذ الله ان امكر بسيدي

- هل تفجز اليوم وعدك

- بل بالحال يا سيدي ارفع اليك رايون فالومة فارملة مارسيال

وولديها نقولا وافلين

- كيفه تيسر لك الاجتماع بهم

- انهم عزموا على الاجتماع عطدي

- اأنت على ثبته من عزمهم

- ان البومة أنت الى اليوم فاخبرتني بما عولوا عليه وقد ضربوا موعداً

في المنزل لمدام منى الجمهورية وطلبوا اليّ ان اخلي لهم المقام فابلق ولدي تورتيلا

الجمهورية الخبر وسيتقدم معها عائلة مارسيال وبرابليون للائتمار سوية

- عجباه لقد مرّ بي زمان ولم اسع فيه الاستاذ من خبر

فعدت براروج حينئذ الدهشة فحاول التجاهل في معرفة الاستاذ فسأله

متعجباً

- من يكون الاستاذ

- هذا هو الرجل الذي فرّ من سجن روشفور ولحمته القدم انسال دي

برستال

— لا معرفة لي به (على ان الاستاذ كان معتقلاً عن امر البومة في احد دمايس النزل)

— اعجب من جهلك هذا الرجل المشهور بالسوء في باريس

— ما قلت الا الصدق

— اني لا انكر عليك الحقيقة ولكن قل لي ألا نعرف أمبروت النازلة في

شارع التامبل

— ما شأنها

— انها دجالة

— لم يسعدني الحظ يا سيدي على معرفة كل الاشياء وما انطقى إلا بما اعلم

— هذا حسي

— ان المهم من امرنا للتحال الوصول الى ذريعة القبض على من تريد

— لا اسهل من ذلك فاني ابث رجالي في ظاهر النزل يجدقون بمخارجه

ليمعنوا الفرار

— من الراي ان نتخذ التدابير اللازمة للتحال لان ساعة هيجتهم قد آذنت

— ها انا ذاهب للاحياط

وقبل ان يفصل الشرط عن الحانة اشار تورتيلار (هوي) اشارة تفيد

استعداد صاحب الحانة لتبول المنتظر قدومهم فسمع براروج بذلك فنظر الى

بعيد فرأى عربة تسرع في السير الى ان وقفت عند باب النزل وكانت نقل

البومة فعندما ترجلت استوقف براروج الثقاف لبؤكده لصدق روايته

فشكره نارسيس واخذ يهيئ للتحال الاسباب التي تمكنه من القاء القبض على

الاشقياء دون ان يشعروا به

الفصل السابع

اعتقال الاشقياء

فمشت البومة امام المنزل مرجاً تهتز فرحاً مما لقيت من الغنائم في قنابها
سارة ما كركوار وعزمها على التثك بالجوهريه وكان المنطف لا يزال في يدها
فتقدمت الى باب المنزل فلتعها تورتيلار فحيها فابتدرته بهذا السؤال

— أأبوك هنا

— نعم دتل لك حاجة عنده

— كلاً .

— هل قدم اهل مارسيل

— لم يات بعد احد منهم

— اذهب عجلاً الى ابيك واخبره بدومي ومرادي مشافهة زوجي في

الديماس وعد الى هنا حيث آكون بانتظارك

— وما الغرض من هذه الرسالة وهذا الانتظار لم لا تذهبن بنفسك

فنعرضي الامر لوالدي ومن ثم نقصدين الديماس منفردة

— اني اريد ان اصحبك معي

— اني ابي الدخول الى ذاك المكان المظلم

— لا تخف تعال واحمل بيدك مصباحاً

فذهب تورتيلار مغادراً البومة في شاغل من تنظيم جواهرها التي سلبتها

ولم تقصد في دخولها الديماس زيارة الاستاذ واستعلام حاله بل لتخفي ما معها في مكان حرير

ولم يكن الا برهة حتى عاد هولي ويده المصباح فسار في رفقة الكملة الى ان بلغ اخر الدهلين فزجرته البومة قائلة له

- ما بالك تتردد في المسير

- اني اخاف امراً

- ما هو

- ان الظلام حالك الجلباب

- فما العمل

--خذني المصباح واذهبي

- لا استطيع فتح الباب بيدي فلم معي اكافئك

-رضيت بذلك ان ابنت لي عن الداعي لهذه الزيارة

- لا يهيك الاطلاع على اسراري

فاذعن تورتيلاز لكلامها وسار امامها بالمصباح وكان ضوءه ضعيفاً يزيد الساري في تلك الظلمة خوفاً فتقدم ما كلاهما من الباب ففتحاه وانتشرت اذ ذاك منه ربح كريهة وسمع من داخله زئير اشبه بزئير الوحوش الكواسر فوضع تورتيلاز المصباح على الدرج وقام قريباً ينتظر خروج البومة من الديماس فهذه السعلاة بعد ان اخفت جواهرها في زاوية من زوايا المحل نحت نحو الاستاذ فقالت له

- حياك الله يا صديقي فما شانك

- لله ارحمني فقد اضناني الجوع

- اني صديقتك اتيت اذ يارتك

- اتيت اهلاً ولكن اما من كسرة اجبر بها قلبي

- لبحث عن حنك بظلفك

وفي هذا الاثناء سمع صوت سلاسل مسجون برسف في الجبال فصاح به
تورتيلار عبثاً تحاول يا صاح الذكك من قيدك فان حلقاتها قوية صنع «مكو»
الشهير .

وايدت البومة كلام تورتيلار بقولها للاستاذ خلّ عنك محاولة التملص
من اسرك فليس للانسان الا ما سعى فهداه سعيك وعناك بل جلّ رغبتك
ومناك

فما زال المسجون برسف محاولاً التقدم الى الامام فنظرت عندئذ البومة
الى تورتيلار وقالت له - اني اراه يتقدم اليها فما ينبغي في مشيه
- لا طائل له من التقدم فانه اعنى

- صدقت يا اخي فتقدم يا تورتيلار بالمصباح لاصعد الدرج
وقبل ان تصعده التفتت الى السجين وقالت له

- الذنب ذنبك لانك تجردت للدفاع عن بيكروا (ماري) ونحن
عائدون من مزرعة بوكوفال فاعترضها تورتيلار بقوله - مالك والاسهاب
في الخطاب فاني اخاف ان يباهك بشرّ ودفعها هوي بيده دفعة شديدة القتها
امام الاستاذ وصاح به دونك خصمك فافعل به ما نشاء . فقبض الاستاذ
على خناتها الى غاية الشدة فانتهر هوي فرصة تشبث السجين بفريسته فدخل
الدياس يريد الزاوية التي اختمت فيها البومة جواهرها فانتزعها منها وخرج
مسروراً بلقطة والاستاذ يناديه

- مهلاً يا تورتيلار لافيك الشكر عن احسانك اليّ

- ما قضيت الا ما تستلزمه مني فروض ميثتك

- لك الشكر ما استطعت اليه سبيلاً فاسمع الآن صباح الماكرة واشفر

نفسك من كبدها

فاستصرخت البومة بتورتيلار قائلة له - بالله ادع اباك ولك مني ما

ملكك يدي

- انك صفر اليدين وقد عطلتها من الحلى التي سلبت

- بربك ارحمني . . .

فاعترضها الاستاذ بقوله . دعي الصراخ فانه لا يزيدني الا قسوة وجفاء
فاعد لي عنه واسمعيني اخبرك قبل ان افك بك بما جرى لي في حياتي
اعلمي يا مأكرة انني عنيب ان عشت بالاثمار معك فانتشر شرّي وغدري
ابت الى الحق ونكبت عن الطريق الذي سلكت في الماضي واول دلائل قدمت
بين يديك ذودي عن حوض تلك المسكينة ماري التي كنت عزمت علي
تشويه وجهها . واذ كنت السبب في سمل عيني من يد رودلف كان لا بد
لي الآن من الاخذ بشاري منك فاعاقبك بما جئت يدك

فصاح توريتلار عند هذا الكلام وهو في قمة الدرج . أحسنت أحسنت
اما البومة فكانت اثناء ذلك تحاول جهدها للوصول الى الخنجر الذي
سلمت به على سارة الى ان تمكنت اخيراً من انتزاعه من موضعه فطعنت به
الاستاذ طعنة خفيفة لشدة خوفها واضطرابها فزاد اذ ذاك الاستاذ قسوة
فضيق عليها قائلاً لها عبثاً تحاولين التماس من يدي قبل ان تأتي جراك فان
اشباح القتلى الذين فتكننا بهم تتراعى لي فتفضي عليك بالعذاب وما اولاني
انا ايضاً باجراء احكامها فاوشران اسمل عينيك عناباً لك ليكون لك اسوة بي
فازدادت البومة صياحاً وعويلأ فاسكنها الاستاذ قائلاً

ودعي دنياك التي ستوحشها شرورك واستقبلي ارواح الذين قتلهم فما الي
اسمع صوت غني شارع دي رول وغريفة قتال سان مارتين وتاجر المواشي
وغيرهم ينادوني يا للثار يا للثار

فعندها بطش الاستاذ بالبومة فقطعها ارباً ودار حولها بزأر كالاسد
الطاوي وفيما هو على هذه الحال اقبل اريسس الثقاف بالشرط فجأة فالتقى القبض
على توريتلار الذي كان لم يزل واقفاً في اعالي الدرج ويده منمطف البومة
وضمته الجواهر ثم انقضوا كالكواسر على الدياس وقبل ان يدخلوه رأوا ساق

انسان عند اخر الدرج والدم قد ملأ الحضيض فاخذه الثفاف بيده ودخل
الدياس فوجد الاستاذ بجالٍ مرعبة قد ستر الشعر وجهه الاسود واطول
المدة كانت قد طالت اظافره حتى صارت تحاكي مخالب الوحوش الضاربة
فامر ارسيس الجند ان يكبلوه بالقيود ويسوقوه الى دار النزل حيث اجتمع
براييلون وعائلة مارسيمال

وقبل ان يصل الجند باحة النزل أخذ كل من المجهزين فيه من
الصوص يرتعد فرقاً من الحال التي صار اليها ويندب شفاءه الى ان بلغ ارسيس
بجنده الباحة ومعهم الاستاذ وتورتيلا فلما رأى براروج ابنة مفيداً بالسلاسل
صاح مستجيراً - وبلاه ما فعل ابني حتى كبلته به بالسلاسل . فلم يجره الجند
وحاولوا الفاء القبض على الآخرين

فعندها تقدمت مدام مارسيمال الى براروج وقالت له - تباً لك من مخادع
ماكر قد سقت ابني بيدك الى سجين طولون والان نسوقنا الى المجذرة سوق
الخراف للذبح فاعلم اننا لانهاب الموت وقد افتخمتناه مراراً ببأس شديد
افتخام الفائد في حومة الوفي طمعاً بالانتصار ونيل اكمل الجند والثغار
ثم تقدم الجند فساقوا الارملة وافلين على العربة الى سان لازارو وبراروج
وبراييلون ونقولا الى لافورس والاستاذ الى ديبواكونسجيري



الفصل الثامن

عود مورفي

انه اثناء الحوادث التي جرت في حانة براروج وقد اطلع القاري على تفصيلها . كان قد رجع رودلف الى شارع التامبل بعد ان كان قد ارسل يستدعي سيسيلي من جرمانيا لنقوم في خدمة جاك فراند مقام آليس وهي تلك التي عهد الى مدام بيبيلت ادخالها دار المسجل

فعند دخول رودلف شارع التامبل كانت الساعة قد آذنت المحادية عشرة فصادف انسطاس واقفة عند سرير رجاها تجرعه شراباً كان في يدها فلما رأت المرأة رودلف مقبلاً عليهم - اارخت كتلة سرير الفرد وافتتحت الى الزائر فقالت بمنزلة بقدومه

-- اهلاً بالناقم الكريم ومرحباً بسيدي اني اسالك غرض الطرف على ما تلقي من الانقلاب في نظام حجرتي فان وقوفي عند فراش الفرد اذهاني عن نفسي

-- ما الداعي الى هذا الذهول وما الشاغل
 -- أو لم يدرك سيدي بصيبتنا وقد ذاع امرنا وشاع
 -- وحشك لم اعلم بشي منها
 -- عاد كبرون الى هنا اثناء تغيبنا لنضآء المهمة التي وكلت انجازها الي في

دار المسجل

- لقد ذكرتني الآن بامرهمني انجازها فما كانت النتيجة
- دعني يا مولاي افص عليك ما جرى مفصلاً
- هات ما لديك فاني سامع
- قد ألقى القبض على امبروت
- آهي تلك العرافة التي كانت تأوي الى المنزل في الطبقة الثمانية
- نعم
- وما الذي اوجب اعتقالها
- اشتراكها في جريمة القتل والنزير مع براروج
- وهل اصاب الرجل ما اصابها
- نعم في حادثة المعروفة (بنزل القلب الدامي) وهناك قضت البومة
- نحبها ايضاً
- فتهلل روداف بشراً عندما تلقى هذا الخبر وقال في نفسه - بشراك
- يا ماري ستنالين مناك
- ثم اطرده مدام بيبيلت حديثها فقالت
- لما بلغني خبر اعتقال براروج بعثت الفرد الى صاحب الملك ليخبره
- بما كان فعاد اليّ وهو في حال من الخوف والقلق لا توصف
- ما الذي بعثها في نفسه
- انه ما كاد ينطو بضع خطوات حتى رأى هذين الاسمين مرسومين
- امامه مكملين بالزهور وهما « كهرون وبيبيلت » فنكص على عقبه فاخذت
- اذ ذاك الاطفة حتى سكن روعه فتمت ادير الى بيت المسجل
- ما كانت نتيجة المكالمة
- انني ذهبت بسبيلي الى موقف العربات حيث استاجرت عربة وركبت
- معهما قاصدين شارع سائيه فيبلغناه عند الساعة المابعة فترجلنا متوجهين الى
- الباب فقررنا المحرس ودخلنا فاستقبلنا البواب فسالنا عن مدام مبروفيم .

وهنا محل الدهشة ومقام الخيرة

- ما جرى لكما

- انني ماكدت اللفظ اسمها بفي حتى تنثر الدمع من عيني البواب سيولاً
فجئنا من حاله وسالناه موضع العجب فقال

- اسفاه لقد قضت فحبها اثناء فجوها مع احدى نسيباتها في الشباب

- لا بد ان يكون اسفها في هذه الايام من سبب قوي لكن ألم تقايلي

فراند

- بلى وقد قدمت له الجارية فاعجبته دون شروط احب اخذها عليها

- ما هي

- ان تعزل في النصر مدة اقامتها كلها براتب لا يزيد عن عشرين

فرانكا

- اما ارناه حسنيتها

- الله اعلم

فشكرها حينئذ رودلف ونفحها بقبضة من الدنانير

- فظاهرت انسطاس بالانكار ولما لم يسعها الصبر عليه لأصرار رودلف

قبلت العطاء مع المنّة والشكر وفي ذاك الحين هبّ الفرد من رقاده اذ سمع صوت

رودلف فلبس رداءه وخاطبه بعد السلام

- آه لو يعلم مولاي بما نالني من دهاء كبرون

- قد انصل اليّ الخبر فتكدرت جدّاً

- ربما تعلم يا سيدي بو مفصلاً اذ فاهت زوجتي ان تذكر لك اشياء

اخرى مهمة

- ما هي

- ان اثناء تهب زوجتي في مهمة بدت لها لدى المجل فراند اخذت

اطالع بعض الجرائد حيلة للتسلية وفيما كنت انصفها طلعت عليّ من الباب فتاة

توسمت فيها الدناوة وحطة الشان وفي اثرها اخرى تجر ذيلها وتعرض عرضها
فتندمنا مني وصافحنا في قائلات انا جئنا نودعك بالنيابة عن صديقك كبرون
فدعرت للحال واشتد رعي حتى بدا لي وجه كبرون من النافذة وهو يتضحك
فسقطت من الوجل وهذا يا مولاي اصل تلك العلل

- لا عدت تبالي بالخوف من كبرون فان هذا الرجل قد ازمع السر

قريباً

وبينا كنا يتحدثان طلعت عليها ريكولت فحنف رودلف الى لقاءها فغياها
تخبة الكرام وقال لها بعد السلام

- هيا بنا الى غرفتك فودّع انسطاس ملحاً عليها انجاز ما وعدت بوالدي

فرأند

فلما اخلى رودلف بريكولت استدرها بالخطاب قائلاً

- ما شأن عائلة مورل

- انهم من محمد الله على احسن حال

- مالي اراك حزينة كئيبة على غير عهدي بك

- يتفطر قلبي حزناً كلما جال في خاطري ذكر اعتقال جرمن

- ايسوء ذلك جداً

- وبلاء فان الحزن قد برح به فصار الشهاد كحل عينيه والدمع مل

جنين

- انكثرين زيارته

- كنت امس لديه وقد اخذت له كتباً للتسلية

- هل يرغب في المطالعة

- انهم تستغرق اوقاتهم

- اني ابشرك بطلافو قريباً

- جزاك الله يا سيدي وعافاك فابقاك سداً للباثسين واملاً للفانطين ثم

ذهلت أن اخبرك عن غنية

- وما جرى لها

- اني التقيت بها اثناء ذهابي لعيادة آليس مورل

- متى خرجت من السجن ومن كان يصحبها

- انها كانت برفقة كهلة

- فعرت اذذاك رودلف الحيرة فقال لها اني لا اصدق ما تقولين ربما

كانت تلك المقاتلة في المنام

- كلاً ياسيدي وقد وفقت معها برهة من الزمان تتبادل التحية والاختبار

- ما كان داعي محبتها الى باريس

- ربما كان لقيادة بعض المسيحيونات

- لوضع هذا الامر لكنت عرفت به

- لا اقول الا ما شهدت به اذني ورأته عيني وقد آنت على ذكرك

في عرض حديثها معي

فتوقف حينئذ رودلف عن الحديث عجباً واندهالاً فودع ريكولت

معتذراً اليها باشغال تستدعي انصرافه عجباً فصار يريد نزله في شارع بلومت

وهو يفكر بامر الابنة ولما كان الفلق والاضطراب قد اخذ منه ماخذاً عظيماً

دخل حجرته واستلقى على المنكأ وهو يمعن الفكرة في عواقب المصير . وفيما هو

على هذه الحال دخل عليه الحاجب يعان له قدوم ولزمور في من نورماند باعلى

القطار فاستخف رودلف السرور وزايلة الهم والكدر فامر الحاجب ان يستدعي

البي الزائر عجباً ليشاوره في الامر



الفصل التاسع

حبوط بولودري

فدخل مورفي على رودلف مسروراً طلق الحياو عندما مثل لديه قال له
 — بشراك ياسيدي لقد قارن اعمالنا التوفيق واسعدنا الحظ على احباط
 مساعي بولودري ونجاة دوريني من خطر الموت
 — ما شأن مدام دي هرفيل
 — لقد سرت سروراً عظيماً بخلاص والدها وهي مازالت تهيم بذكرك
 وتترنم بشكرك

— ما صار اليه الشقي بولودري

— قد آتيت بـو معي

— أهو عندك

— نعم

— اين مقره الآن

— مغلول الابد في شارع اوفيف

— ألم تعان في رفتهو شدة

— كلالا نتي نهددته باشهار امره لدى الحكومة

— احدثت فهاث يا مورفي ما عندك من الاخبار تنصيلاً

فالتى مورفي يده في جيبه فاخرج كتاباً دفعه الى رودلف قائلاً . دونك

يا سيدي كل ما عندي

فاخذ مورفي الكتاب ففَضَّ خِثامَهُ ونَشَرَهُ فاذا هو يتضمن ما يأتي

الى سمو الامير

« انني افتح كتابي اليك أيد الله سمو سيدي الامير بيت الشكر عما اولانيو

« من فضلكم وكرمكم وما اميع علي من جزيل عطائكم ووافر نعمكم

« ثم اعود بعد الدعاء جهد الفاصر في التعويض الى سرد قصتي ونثر

« عبرتي

« اني قد زابلت وولدي كلارا باريس على الفطار الى نورمانديا وفي صبحتنا

« الشهم مورفي فلما بلغنا القصر دخلنا تواردهة الاستقبال فجلست فيها برهة ريثما

« أخذنا الراحة ثم قمت الى حجره والدي اريد مقابلة وكان الخدم اثناء استراحتي

« قد اعلنوا قدومي لخالتي مدام رولان فتقدمت الي وتصدت لمنعي عن الزيارة

« بحجة ان والدي مريض لا يسعه التعرض للواء فلم ابالي بصددها فتقدمت الى

« الحجر ودخلت اليها فالفيت الدكتور بولودري واقفا امام طاولة يهيء العلاج

« فلما رأي الطبيب اخني الزجاجة بعد ان نقط فيها نقطان من زجاجة اخرى

« وما كان ذلك الا عن اشارة خفية استبدها من خالتي بمجوري فاجست للحال

« من هذا الامر خيفة فلم اصبر على الغدر فتقدمت الى الطبيب وانتزعت منه الزجاجة

« وحذرا من ان اهي لديها خطر لي في الحال ان ادعي بنسيان امنعتني في موقف

« الفطار ففرعت الجرس حتى مثل امامي الخادم فامرته ان يشير الى خادمي في

« الخارج ليأتيني بها (وكان هذا الخادم رفيقها مورفي ارسلت اليه الاشارة للنجدة)

« فاعترضني والدي منكرًا علي ما انيت به

« فاجبتة والدمع بهطل من عيني سيولا اي لم افعل الارجاء انقاذك من

« شراعدائك فساء خالتي هذا الجواب فالحمت علي والدي ان يبعدني او يزيل

« المقام فلم يسمع ابي صدها فنهض معها وقبل ان يخرجها اخذت والدي بيده

« وقلت له اي اني فعلت حبا بك وحرصا على حياتك فلما طرق سمع بولودري

«هذا الكلام عمد الى التوصل من تبعة المكيدة فقال انه لا يمكنني الوقوف على هذه
 «الحال التي صرنا اليها ومن رأيي الانصراف فتحول جهة الباب فلقبه مورفي
 «فارتعد الطبيب من مرآه ووقف كالحائر لا يدري اين يسير
 «ولما كنت اخشى ان يصيب سيدي الملل من قراءة الكتاب المسهب
 «اضربت عن وصف ماجرى قبيل هذا اللقاء تاركاً لمورفي سبيل تفصيله شفاهاً
 «للامير

فعند ذلك نظر رودلف الى مورفي وقال له بكل ما قصرت عنه كليلانس
 فاني اتوق الى استماع القصة بحروفها لاسيما وقد رأيت ان دخولك على الطبيب
 كان سبباً لانزعاجه وباعثاً له على الحذر والاضطراب

فقال مورفي - يا سيدي انني تقدمت الى الكونت فسالته العذر عن
 دخولي عليه قبل الاذن ثم عرفتني بانني خادم الامير مكسيميلان رودلف وان
 السبب الذي من اجله دخلت الغرفة هو مساعدة ابنته على خلاصه من مكائد
 الغادرين التي وضعت في الجرعة التي اشار بها الطبيب وطلبت اليه ان يأمر
 بتخليها اذا كان في ريب من صدق المقال

فسأله رودلف - ما كان جوابه على خطابك

- انه انكر علينا صحة الدعوى بدليلها الواضح الثابت واني تصديقنا
 فعمدت اذ ذاك الى بولودري وخلوت به فتهددته باشهار امره اذا صدق عن
 الاقرار بما في نفسه فذكرته بجرائمه وتهددته بكشف الخبايا في زوايا ماضيه اذ كان
 هو العامل في قتل والدته المريضة (ارملة الكونت) وانه يسعى اليوم بالائتمار
 مع مدام رولان على هلاك الكونت . فوعده في عندئذ بالاقرار فسالته بصوت

عالي

- الست مكرها ايها الطبيب على قتل الكونت . فاجابه بكل صراحة نعم

يا اخي

فسأله رودلف - فما كان من الكونت لدن سماعه هذا الجواب

— رفع المحاطة نحو العلام وبكى

فاطردت الاستنطاق قائلاً

— ألم تذهب اليك مدام رولان في شارع النامبل

— بلى

فعند هذا الجواب تقدم الكونت فعانق ولده كليمانس وضماها الى صدره
موعزاً الى مدام رولان ان تخرج للحال من قصرة وكان من نيتو ان يدفعاها الى
الحكومة اولا ان ابنته امسكنه عن ذلك

ثم اتم رودلف قراءة ما سطر في ذيل الكتاب وهو

«انني قصدت السفر الى نورماندي بطريق فونتاليه ومنها الى باريس حيث
«يسعدني المجد على الاجتماع بك وقد فاني ياسيدي ان اذكر لك نتيجة زيارتي
«الاخيرة سجن سان لازار حيث لقيت الابنة التي قصت علي خبر اختطافها من
«مزرعة بوكوفال فاخذت على هانك تربيتهما وانا كنت قد وعدتهما بالخلاص
«لكن المصيبة التي المت بي حالت دون انجاز وعدي فعسى ان تكون قد اهتمت
«بجهدك الى اثر فريستي فراندو بذلك اغدو اسيرة فضلك

«كليمانس»



الفصل العاشر

البحث

خلا رودلف بنفسه برهة ثم قال مخاطباً مورفي -- كيف العمل توصلاً
الى ماري

- مولاي بالصبر الجميل نيل كل مرام
- اذهب يا مورفي للخال وابعث رسولاً على ظهر الجواد بطير الى مزرعة
بوكونال ليأتني بدمام جورج
آه لكن ما الفائدة من ذهاب الرسول وقد اخبرني ريكولت بانها رأيتها
خارج السبعين برفقة كملته

- علي يا مولاي بنم الاخبار وغداً انيك بالطبيب براودري
- مورفي ان منظر هذا الرجل يذكرني في حوادث الماضي .. وهنا ستر
وجهه بكفه يفكر في نفسه

- مولاي دع الغم والكدر
- ان مرآه ذكرى شرور عظيمة وحسبي بنها وفاة والذي
- بالله يا مولاي اجل عنك الكمد وحدثني عن الكونتس سارة
- لم اسمع عنها شيئاً منذ انقذت المركيزة في شارع التامبل . مورفي اليك
اشكو امري

- سيدي ان جرمانيا تشنق الى لتيانا فلنعد اليها

- سنعود اليها بعد ان ارد الى مدام جورج ضالتها وانتص من الظالم فراند

- ليس لنا الفوز بذلك قبل وصول سبيلي

- قد دخلت الموضع المقصود

- هل اخبرها دي كراين بما يترب عليها فيه

- نعم

- هل وعدت بالقيام بمعني الواجب

- وقد آيدت وعدما باليمين

- متى نقابل فراند

- اليوم

- بشارك اذن بشارك لقد كتب لنا الفوز

وقبل ان يتاحدينها قرع الباب فدخل ناقل الرسائل ويده غلافان

الواحد باسم رودلف والاخر باسم ولتر مورفي

فاخذ رودلف الكتاب فتأمل ظاهره فعرف من الطوايع التي عليه انه

من مدام جورج ففضله ر بعد ان اتى على قرأته تماماً هتف قائلاً

- ان هذا الكتاب جآني بخبر اختطاف الابنة

- من اقدم على هذا العمل

- ان الجاني لم يزل مجهولاً

- لم تاخرت في الخبر

- ان الرسول الذي طلب مقابلة الابنة عندها غرها وخدعها فاهلهم عليها

انه جآء من قلبي وان قصده اصطحابها الي لاغراض بدت لي معها

- مولاي اخاف ان تكون سارة قد انت ذلك الامر فاذا صغ ظني

فما الراي

- اذهب للحال فابعث دي كراين اليها يسألها عن الابنة واخبره ان

يتهددها اذا انكرت عليه الجواب

- ليك يا مولاي وانا اقصداً ايضاً سجن سان لازار علني استفيد من
اخبارها شيئاً

- افعل ما بدا لك

- لكن اسمح لي يا مولاي ان افض كتابي فاقراءه الان بحضرتك لان
على ما يظهر لي من طوابع انه من مرسيليا

ففض مور في الكتاب وعقيب ان قرأه قال

- قد جاءني بشبليت ما ترددت فيه فهو من وكلي في مرسيليا يخبرني بسفر
فتمك الى الجزائر . فان هذا الشاب بعد ان بلغ مرسيليا وكاد يركب البحر
قفل راجعاً فاخذ من وكلي مبلغاً من الدراهم وهو آت على الفطار الى باريس
- لا بدّ ارجوعه من سبب

- لا ريب

- متى زابل مرسيليا

- في العشرين من هذا الشهر

- فانه عند وصوله لا بدّ ان يطالعنا على سبب عودته اما الان فعليك
يا مورقي اتمام ما امرتك به

فذهب للحال مور في فابلغ البارون دي كراين امر مولاه وسار
كل لشأنه

ولم يكن الاّ برهة حتى مثل دي كراين امام رودلف فابتدره الامير
بالسؤال

- ما شأنك يا رجل

فتهدد دي كراين واجماً . فاتح عليه رودلف بالجواب قائلاً

- مولاي اخشى ازعاجك بالخبر

- ما بالك تتردد في شرح الحال عجل بالبيان . أمانت

- كلاً ولكن طعنت بمخبر

- من الضارب
- غير معروف
- هل القي القبض عليه
- كلاً لأنه امعن للحال في الفرار بعد ان سلب الجواهر
- ما شأنها الآن
- ان حالها تنذر بالخطر
- يا لها من مصيبة كبرى . عليك ايها البارون ان تتردد اليها كل يوم
- وفي ذاك الحين عاد مورفي من مان لازار فدخل على الامير الذي استقبله بهذا الكلام
- ان سارة لني خطر عظيم
- على الباغي تدور الدوائر
- ما اتصل بك من اخبار ماري
- ان قد اطلق لها العنان فخرجت برفقة خادمة المركيزة دي هرفيل
- (ان مدام سيروفيم كانت قد دخلت السجن بهذه الصفة
- لا اصدق ذلك لان المركيزة كانت قد استنهضت هتي في كتاب
- بعثت به الي لا تقاذ الفتاة من السجن ثم انبأني ويكولت بانها لقيتها في رفقة كلمة
- نطع الطريق بالعربة . فيا للخبرة من تراه يفيدني حقيقة الخبر وقد أصيب
- مصدره الثقة بمصيبة تودي بها فمى لنا بعدها لكشف هذا السر الغامض
- فقال دي كراين ليس لنا يا مولاي الا سبيل واحد
- وما هو
- ان نعرف اسم الكلمة رفيقة ماري
- أصبت فاذهب اذن وابحث عنها علك نقف على اثرها
- سماعاً وطاعة

الفصل الحادي عشر

— ١٠٠٤ —

وكالة فرّاند

اننا ندخل وكالة هذا الرجل حين اجتمع الكتبة على مائدة الطعام فنسرع
ما دار بينهم من الحديث . قال احدهم

— من منكم رأى الجارية التي قامت مقام مدام سيروفيم

— انك التي كانت في رفقة بوابة التاميل

— لم أراها

— وانا ايضا

— ألى لنا ان نراها وقد سمعت المسجل بوعر الينا بان لا يسوغ لاحد

من ان يتجاوز عتبة الدار دون اذن الرئيس

— مالنا وهذا الابعاز يخطر لي ان ادخل اليها اثناء وجود الباب

في الحديقة

— فضحك الشاب المال (احد الجواسيس) حتى استلقى وقال يا للغباء فاني

رأيت الشخص الذي تتوقون الى مرآه

— اين لقيتها وما هي اوصافها حقها لنا

— انها تتوق أليس بمسئها وجمالها وهي لابسة على الزي الاستيني (زي

راج بين قروي جرمانيا)

— كيف توصلت الى مرآها

— انني بينا كنت اجول امس في الفناء رأيتها من وراء الزجاج
 — صدق شالو مال في ما قال
 — مالنا الآن والاغراق في البحث عن اوصافها فلم يعدل الى ذكر التغيير
 الذي حدث في هذه الدار منذ دخول هذه الصبية
 — لا بد ان تكون قد ملكت فؤاده فتملكك عليه وعندي ان العاقبة
 شر من المقدمة
 — والدليل على ما ابان صاحبنا ان فراند يتنكب عنا الآن اياماً بعد ان
 كان يلزمنا ملازمة السوار للمعصم
 — ودليل اخر فحوله واصفراره
 — وانا اسند ما تدعون عليه بما شهدت من الاثر في عينيه
 — منذ يومين اناه اربعة رجال بطلبون مشافهته فصعدت اليه بالطلب
 ففرغت الباب فلم يجيني احد فدخلت دون استئذان
 — ما رأيت ثم
 — الفيتة مكباً على الطاولة دون حراك
 — ربما كان في سبات
 — انني عرضت عليه الطالب منذ دخولي فلم ينتبه فدنوت منه وهمست
 في اذنه فلم يشعر فحركته قائلاً مولاي ان في الباب رجالاً بطلبون مشافهتك
 فهب جيتنذ من غفائه مذعوراً فسنطت نظارته على الارض فرأيت ...
 — قل ما رأيت
 — دموعاً تجري
 — انصدق في ما تقول
 — لا امين
 — ما كان داعي بكاه
 — لست اعلم فانه حالما اتبه من رفاده زجرني قائلاً انطلق عجللاً اريد

مفابلة احد

- فيها اجبت اصحاب الطلب

- ان ياتوه غدا

وعند ما انتهى بهم الكلام الى هذا الجواب دخل زعيمهم المكنب فقال له
الشالومال مولاي جزعنا من الانتظار للطعام

- انني كنت في حاجة لذي سيدي وهو بالحقيقة فاقد الرشيد

- ما دليلك على دعواك

- انني شهدت فيه منذ يومين امرًا لم اشهده من قبل ودوائه يقصد
الحديقة ليلاً متعرضاً للرياح والامطار وبينما هو يتمشى فيها امس رآه الباب
فظن انه يطلب حاجة فاسرع اليه وساله ما يبغي مولاي فزجره وارسله منتقراً
مهاناً . وانا الآن دخلت عليه ويدي بعض اوراق اريد توقيعها فرأيت
جائئياً على الارض سائراً وجهه بيده هاتفاً صارخاً الى ربه . فاجيبت حائراً
من وجوده على هذه الحال . اما هو فارنى على يدي كالولمان لايعي من شدة
الوجد والهيام قائلاً

جودي ارحمني مضى بذروب بك جوى يقضي اسي والله ان لم تنعي

فلما سمعت هتافه تحفنت انه مصابٌ بحسبى وان ما فاه به هذا بان فقلت له

- مولاي انا كاتبك

- فما اجابك

- انه تردد برهة بين الحيرة والذهول لا يدري ما يقول الى ان انتبه

اخيراً فرآني وصاح - ما سمعت فاجبته مولاي لم اسمع شيئاً فاني جئتكم بهذه

الاوراق لتوقيعها فاخذ الاوراق وامضاها دون ان يقرأها . ثم انصرفت وبينما

انا منطلق سمعته يقلل مفتاح الباب المودي الى الحديقة

- ربما كانت هذه الحوادث التي نلم به نتيجة حزنه على فقد مدام سيروفي

- اعرف ما حدث في هذه الايام

- كلاً

- اني قرأت في جريدة تراينالس الرسمية خبراً يفيد النباء النبض على
زهرة من الاشقياء في حانة براروج وقد سينا جميعهم الى لافورس

- لا ريب ان جرمن يأنس بهم

- وأليس مورل ايضاً

- ربما كان في جملتهم الشقي الذي طعن الكونتس سارة بخنجره وقد ارسلني

فراند امس لاستعلام حالها التي اتجهت الى الابلال

- هل رأيت المكان الذي جرت فيه الحادثة

- كلاً

ففيهم الشالومل اخواني اني اسمع وقع اقدم في الرواق فليجلس كل في

مجلسه ولم يكن الا برهة حتى دخل جاك الوكالة مخطياً الى الحديقة دون ان

يكلم احداً ناركاً الا ابواب مفتوحة

الفصل الثاني عشر

الهوى مطية الهوان

ان رودلف كما ذكرنا قبلاً كان قد تمكن من ادخال سيبلي امرأة الطبيب

داود الذي مر بنا ذكره في القسم الاول دار المسجل بواسطة بوابة التامبل

لنستقر بها وتوقعه في شر ما جنت يده فمذ دخول الغاوية انقلب عيش

فراند واشند هيامه وكثر ارقه لانها عرفت كيف تستميلة بحسنها المقرون
بالدهاء والمكرو. فارصد لها فراند مقصورة احسن فرشها وزينها بابدع ما لديه
من الطرف. ففي احدى الليالي الماطرة بينا كانت سيسلي واقفة امام المستوقد
في غرفتها سمعت وقع اقدم في الرواق فبادرت للحال الى الخزانة فاخرجت
منها خنجرها والفتة على الطاولة ووقفت تراقب حركة الساري وفيها هي في ذاك
الموقف سمعت صوتا يناديها همسا سيسلي سيسلي فلم تعجب منادياها وأخذت
تشد بصوت شجي ايانا غرامية تطرب الجهاد فاشدت تنهدات فراند من
الخارج وزادت حسرانه الى ان سمعت زفرانه فاطفات المصباح ودنت من
الباب وسألت

- من الطارق

- زائر بمنى سرك

- مولاي ما بالك واقفا في الخارج عرضة للرياح

- آه يا سيسلي ما احلى محياك

- انت واهم يا سيدي بجمالي

- انا على حقيقة بينة من حسنك

وهنا اخذ فراند يفيض باساليب تشف عن اعجابو بحسنها وهياموها نارة
بصف خدها ونارة اخرى قدما اوانة شعرها واونة صدرها الى ان اعياءه
الوقوف على جمر الوجد فطلب اليها ان تفتح الباب ليدخل فيجالسها او يغازلها
فاجابته عجبيا يا مولاي لشج استغنى طيش الشباب فهم بن تأبي صاع ما يخل
بالاداب ومن دونها حجاب لا يشق الا اذا شاب الغراب فدنا جاك من الباب
فرسه يريد كسره. فتمصت عند ذلك سيسلي ووقفت امام النافذة لتحوّل
فراند عن قصده فسأله

- ما اليان على حبك لي

- اتريدن ان اثبتك لك بالمال

- كلاً فاني في غنى عنه

- ألك ثار اخذ به

- كلاً

- اترغبين بالاقتران معي

- اني ذات بعل

- اذن ما تريد مني

اعلم انك تطلب اليّ ان اودعك نفسي فعليه اطلب اليك في مقابلة ذلك
ان تسلمني نفسك بشرح ما جرى لك حياتك كلها حتى اعرف بسرك وجهرك
فاؤكد عند ذلك حبك لي

— ها انا ابسط لك الماضي من اعمالى فاسمعي . انه منذ عشر سنوات
اقتبلت ودیعة عندي تباع عشرة الاف فرنك ففضيت على صاحبها بالغرق
قرب جسر اسنار طمعا بالمال واوقعت فرنسوا جرمن بنهمة السرقة فاودعته
السجن وانتهكت حرمة أليس مورل وسلمت مال البارونة دي فارمونت وكنتما
لهذه الاسرار قضيت على قيمتي بالموت غرقا . فحسبي ما كشفت لك من الاسرار
فامعديني الآن باجابة السؤال فان اعضائي تفلصت من شدة البرد

فدفعتم اليه سبيلي المفتاح ليفتح الباب من الخارج فاخذه فراند بلهفة
وشرع يعالج القفل فلم يفتح لان الباب كان مقفلاً من داخل فعاد فراند اذ
ذاك الى الجارية وقال لها خدعني يا حبيبتى

فالت له - اني لا اصدق ما قلت فان الذي قصصته علي كان ربما

زوراً فما البينة .

فاخرج عندئذ جاك محفظة من جيبه وودفها الى الجارية قائلاً لها - دونك
البينات على صحة ما اوضحت فارحميني

فاخذت سبيلي المحفظة فوضعها بين اسنانها وعمدت الى النافذة المظلة
على فناء الدار فالتت معها وشاحاً ابض ثم ادلت الحبل الذي كانت قد عقدته

من قبل على حديد النافذة فبدلت عليه حتى بلغت الارض فالتحمت بالوشاح
وقصدت العربية التي كان ينتظرها فيها البارون دي كراين كل ليلة فلم يعلم
فرأند بفرارها الا بعد ان كانت قد قطعت مسافة بعيدة فعاد بصفة المغبون
بندب مصبره وما زال تلك الليلة يتخطى في داره من الغم والكدر حيناً في
الحديقة وحيناً اخر في الدار الى ان ساقه الذهول الى جانب الحفرة التي
دفنت فيها أليس ثمرة الخيانة فسقط على الارض

الفصل الثالث عشر

لافورس

هو معقلٌ يعتزل فيه المجرمون في فرنسا عظيم البناء فسبح الارجاه تالف
من ثلاث طبقات قد قام وسط حديقة غناء تترقرق فيها الماء من كل جانب
وقام ايضاً الى جانبيه بناء اخر حسن الانقان يتنابه اعضاء لجنة السجن
يدخل الى ذاك المعقل من دهليز امتد على طول البناء فتوفرت فيه مقاعد
حديثة لجلوس الزائرين الذين ياتون لتنفذ احوال اصدقائهم ومعارفهم وكان
داخل السجن مقسماً الى اقسام عديدة مظلمة يدخل اليها من باب مصغ
بالحديد يليه سرداب عريض حصين خص لوقوف المسجونين فيه وقت الزيارة
فاذا وقفنا داخل هذا البناء ونفرسنا بساكبه رأينا نفرًا منهم قد تالّب
على نقولا مارسيل وبرايلون اللذين التي القبض عليهما في حانة براروج حسبا

نقدم لنا الكلام في شأنها

ثم ابصرنا فرنسوا جرمن معتزلاً حزينا في احدى زوايا السجن وفيما نحن
وقوف بالباب مرّ بنا الحارس يريد نقولا مارسيال ليعلم له قدوم احد زائريه
فتسالنا متعجبين من تراه ذاك الشاب الذي قدم لزيارة نقولا ورحنا نتطلع اليه
فعرفناه وكان احدا عوانه دادي مكو. فلما مثل نقولا امامه ابتدره بهذا الخطاب

- ما شانك يا خليلي

- الحمد لله على فضلك

- كيف انت والعمل

- اسير سير المجد في جادة النجاح وما لي انيت ملبيا دعوتك

- اهلاً بك من صديق كنت اعطيه صدوقاً .

- ما بالك يا اخي تعرض بصديقي

- آأنت الآن باقى على العهد كما كنت قبلاً

- ان حي يزداد وينفو غوي في العمر

- فما عندك من الاخبار

- سل ما بدا لك فاني جئت اليك في قضاء رغائبك

- اكرمت فكم عندك من صنائع النحاس

- قطعتمن وقد انبتك بشي من الزاد والخمر

- ألم تاتي بشي من الحلوى انفكة بعد الطعام

- لا خفاك يا اخي اني عاجز عن الوفاء بطليبك كلها

- لا تنكر علي يا اخي ما اطلبه منك تعويضاً مما كنت اقدمه لك من

النحاس وخلافة

- بالله يا نقولا خفض صوتك لئلا يسمعك الناس

- لا اكلمك الا علناً قبلت ام لم تقبل

- فافعل ما بدا لك لكن عجل باظهار حاجتك عندي

— اريد ان تني بما يلزمي ويلزم والدتي وافلين فتقوم لديهما مفاتي واذهب
الآن اليهما فاخبرهما بانني صرت اشد باسا من قبل وكل من تراه في السجن برهب
سطوني وقد عرضت عرض ابي بالمجراة والاقدام وحذوت في سبرني حذو
جاك كانش استاذة (هذا الرجل كان اشهر لصوص العالم)

— ساقبل لما مقالك بالحرف الواحد

— فانتني ان استعلمك حال نزلائك

— هم على احسن حال

— ألم يزل روبنصن الاشل نزيلك في براسري

— سيوافيك غدا او بعد غد

— ما ارتكب هذا الرجل

— سلب دراهم

— اهلا به فاني اتوق الى رؤياه وانا في حاجة شديدة الى وجوده هنا معي

فاعهد اليو العمل في ابتلاء جرمن الذي اجمع الكل على انه جاسوس بيننا فاذا
حق قولك جبرعه الموت دهاقا

— فمن هو جرمن الذي تشير اليو اشاب هو

— نعم

— وهل لك عهد يو من قبل

— لا اعرفه بل سمعت عنه شيئا

— ما هو

— كان روبنصن قد كمن له سرا

— لماذا

— لانه تم باحدر فقاو

— اذن صح قول رفاقي فيو

— هذا اذا اعيدنا على قول الاشل

- احسنت يا اخي في ما اوضحت فاني احذر رفاتي منه واعدهم بقدوم من ييليو . لكن قل لي متى يكون عندنا

- اليوم دون ريب

واذ بلغا من حديثها هذا الحمد نهض مكو فودع نفولا وانصرف من عنده وبينما هو يتخطى فناء السجن رأى ريكولت تعدو عدواً سريعاً قاصدة الدهليز فعارضها صاحب السجن في مسيرها وكان في الخامسة والاربعين من سنين طويل الثامة فقال لها

- لا حاجة لي الى ان اسألك الغرض من قدومك

- ما شأنه يا سيدي

- ما زال كثيباً حزيناً

- آه ما اشدّ عذابي وما اعظم شقائي

- واذا كنت امس اجول داخل السجن ابصرت به وجهها منطلياً مكداً

- ألم يزل في خطر

- ان المسجونين يسوّمون مرآة لاعتزاله عنهم

- اما من ذريعة لابعاده منهم

- بلى وهي ان ينقطع في غرفة خاصة . لكن ذلك يستلزم النفقة

- اسفاه من اين لي ان افيد ذلك

- لا باس فاني منذ الان اراعي واعني به جهدي لكن لا بد ان تنذريه

وتنذريه

- وما انا ابلغه الامر واحرصه على اتباعه

- لكن قد مضت الان فرصة الزيارة ومع ذلك فالبقي هنا ريثما يكون

قد انتهى احد الزائرين من مقابلة صديقو فاقابلك بجرمن

فتقدمت ريكولت الى الدهليز وجلست تنتظر الاذن

وكانت هذه اللقاء في الثامنة عشرة من عمرها وعلى وجهها لحة من الحسن

والجمال نشأت بتيمة عيلاً على بعض المحسنين الى ان بلغت العاشرة فسعت
اذ ذاك في طلب المعاش

وبينا كانت تجول في ازقة المدينة ليلاً التقى بها العس فساقها الى السجن
حيث تمكنت من معرفة ماري فتعلمت منها الخياطة واقامت لديها الى ان
صدر الامر بالنعو عنها فنزلت في شارع التامبل حيث كان نازلاً فرنسوا
جرمن فتصادقا وتعاهدا على الحب والولاء

الفصل الرابع عشر

زيارة لافورس

كان في موقف الانتظار اثناء وقوف ريكولت فيه سجين يدعى فورنييه
دوبارت أربى على الاربعين من عمره نحيف البنية ضئيلاً تلوح على جبينه سياه
المكر والدهاء قد اعتزل عن سرقة اجترعها
وكان قبالة على المقعد امرأة فحيلة الجسم في الخامسة والثلاثين من عمرها
تسمع دمعها باطراف التناع وهو يسألها ان تكفك دمع الاسف فنجولة عن
اخبارها وشؤونها قائلاً لها

— ما بالك يا جوليات لانخطابيني بغير الدمع

— اخي يشق علي ان اراك نزيل السجن مرة ثانية بعد ان لبثت فيه في

(مهلان) خمس عشرة سنة

- لا باس فقد مرّ بي هنا سنة اشهر
- نشدتك الله ألا اخبرتي بالسبب
- انني تعرفت يوم كنت في سجن ميلان برجل اشل وهو الان في شارع

براسري

- أعن روبنصن تعني
- نعم
- دعنا الان منه وكل ما ابتدأت بو من قصتك
- ان هذا الرجل عند ما كان رفيقي في سجن ميلان دلني على تجارة ادفع بها عني غارة القضاء فلما انتهت مدة سجنني وخرج عني خرجت اسعى في طلبها وبيننا انا ووسط الطريق أصبتُ ماسافني الى هنا . . .
- لكن قولي لي يا شقيقتي هل درت ابي بسجني
- كلاً انها حسبتك مهاجرة الى الجزائر . كمل كمل قصتك
- كنت زائلت ميلان اجد السير توصلاً الى هذه الجهات ولما ادركني الظلام في طريقي عرجت على « اوتيل » ابنت ليلتي فيها حتى « الفجر ولما كنت مضطرب الافكار مال بي النعاس وبيننا انا نائم سمعت همساً قريباً فانتبهت وابصرت في من حولي تحت جنح الدجى فرايت امرأة ترافق رجلاً فاصفحت سمعاً الى حديثهما فاذا هي تقول له
- « احرص على الودبعة التي تودعناها السفط اذ كنا بمنزل عن العيون »
- اما انا فلما تلقيت هذه الكلمات اخذتني هزة الفرح ففمت انتظر بذهاب الصبر بعادم عن عياني حتى اذا افلوا وبانوا تركت الكهف الذي كنت فيه
- ولم اتخذت الكهف لك مبعلاً
- لضيق ذات يدي
- ما كان ثم منك
- انني قمت اجول اترحم حتى وفقت بباب سربركان على مسافة من

بيني ففرعته مراراً دون مجيب

- كيف يسر دخولك اليه

- لما لم افز بنفحه وجدت ثغرة في ظاهره فولجت منها ونقبت في داخله الى

ان عثرت على السيف في زاوية منه فعالجته حتى انفتح فاخرجت الدراهم منه وعدت

فخرجت من حيث ولجت وما كدت اطأ الارض حتى النقي الفبض علي الحارس

وساقني الى السجن

- هل بحثت بسرك

- نعم ولكن لا تجزي

- ما شانك مع رفاقك

- اني واياهم على وفاء تام اقص عليهم الروايات والنصص الغريبة

فيحسبون الي ويوطنون علي . لكن مالي اراك نخيلة مكدة

- هذه اثار الحزن والكآبة

- ما شان صهري

- بالله دعني من قصتي

- لم تنكرين ذكره

- لانه سبب شفاي واصل عنائي

- ماذا ابدى حتى اعندي

- آه لقد غادرنا منذ ثلاثة ايام دون زاد ومدان باع كل ما ادور

من المتاع

- لم كنت عني امره

- انقاء كدرك

- ما شانك واولادك

- لولا العناية الالهية لكنا في بوار

- وما كان بعد ذلك

- ان الله عوضنا من فضل ما فقدناه فاتي لما عدت يوماً من شغلي في
 احد المحابيت وجدت البيت وقد تزين باحسن اثاث وابدع فرش
 - من المحسن الكريم ؟
 - هو الله الذي لا يخيب رجاء من وكل امره اليه . لكن ذاك الشفي
 ما لبث يبذر ماله في المعاقرة والمقامرة الى ان نفذ ما في الوطاب فبعد اخيراً
 الى بيع وقب البيت

- ألم تصديه عن فعلته
 - ويلاه انه كل مرة كنت اعترض عليه كان يلقيني بالسب والضرب
 - كان من الواجب ان ترفعي امره للحاكم
 - قصدت يوماً احد المحامين قصد ان اعهد اليه بحق الدفاع عن
 حقوقي مع زوجي فانتضى مني ثلثة خمسمائة فرنك فلم اجبه الى هذا لفلة وفري
 - كان اذن من الحكمة ان تخفي عنه الدراهم والمناع
 - فعلت ذلك تبالاً فما شجعت وقد اتاني اخيراً بكهلة يريد ان ينزلها

في جبرتي

- ألم يبق على شيء من المناع
 - كاد يعيث بالبعة الاولاد
 - يا له من رجل قاس لم تمس قواده الشفقة والرحمة
 - بالينة وقف عند هذا الحد من اسرافه وتبذيره فانه خطرته اخيراً
 ان يبيع كاترينا لكنني آتيت واصريت على مهاجرتي فارعوى وسار بالكهلة ومنذ
 ذاك الحين لم انف له على اثر .
 - أما من نصير لبلواك
 - جهدي وكدي

وكانت ريكولت تسمع كل ما دار بين السجين والزائرة من الحديث فأوت
 اليها وعطف قلبها عليها فرأت ان تخبر بامرها رودلف علها يانها بشيء من

عنده وبينما هي تردد هذه المخاطر اعترضها زائر اخر فجلس بينها وبين الزائرة فساء ريكولت هذا الاعتراض لكنها ما لبثت في مكانها تسمع نتيجة الحديث فاستطرذت جولييات حديثها بعد ان تنفست الصعداء وامسكت برهة عن الكلام فقالت

- آه لولا جهد ولدي كاترينا وكدها لكننا الان امواتا

- ان هذه الالة غدت اذن سلوتك في وحدتك

-- نعم ليس غيرها

- ألا بمكي ان انجذك بشيء

- من كان نظيرك وجبت خدمته

- اخشى ان يعود زوجك فيطالبك ببيع كاترينا

- دون ذلك موثي . أما من شريعة تنصف لي منه

- كيف لا ولكن لا بد من النفقة . فاني عزمت من الآن ان اجمع لك من

المال ما يفي بقيمتها

- من اين لك ذلك

- اني احرز المال بنص الروايات على اقراني وفي هذا اليوم وعدتهم

بروايتي المعروفة

- لقد فرجت كربي بخبر راحتك

- ولولا ذلك لكنت في حال اشقى من حال ذاك السجين الذي اوقعوه

بالتهمة فحاملوا عليه بدعوى انه جاسوس بينهم (مشيراً الى جرمن)

- اياك ان تدعمهم بمكرون به

- لا قبل لي بذلك

- من تراه زعيمهم

- السكتون . فما ان الساعة توءذن بالانصراف فعودي الان الى

اولادك ولا تغلي عني

فودعته المرأة وهي تكفكف دموع الفراق والأسف
 اما الزائر الذي اعترض بين ريكولت والمرأة التي كانت تخاطب السجين
 كان رجلاً آري على الاربعين من عمره وقد تقلد حساناً فنامائه ريكولت برهة
 فعرفته انه كان في جملة الشرط الذين القوا القبض على مورل المجوهري النازل
 في سرداب شارع التامبل . فهلعت من مرآه وقامت تجدد في اثر الزائرة التي
 خرجت من الدهليز وما زالت تتبعها الى ان ادركتها فابتدرتها بالسؤال قائلة
 - لقد بلغني ايها السيدة انك خياطة

فاجابنها مدهوشة من سؤالها - نعم هذه حرفتي

- فمئذ الان صرت ارسل اليك ما يشغلك

- فلك الشكر سلفاً . لكن ارجوك ان تصرفني عني العجب من مبادهتك

لي بالسؤال في مثل هذه الحال

- اني اقص عليك الخبر دون تمويه . قد وعيت حديثك مع اخيك

فاخذتني الشفقة عليك فنصدت نجدتك وهي أسر ما الأقي . لما كنت خياطة

وكثيراً ما اضطر الى يد في العمل معي صرت استدعيك اليّ فتكرمي عليّ

بعنوان محلك

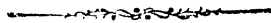
- اني نازلة في محلة السيدات عدد ١٠ واسي جوليات دوبارت

فعلقت ريكولت اسم المرأة وعدد منزلها على رقعة الزيارة وشكرت الله

الذي وفها الى الاجتماع بتلك المرأة التي وجبت عليها مساعدتها

فودعنها ريكولت وعادت الى حيث كان الشرطي واقفاً لتقف على حديثه

فلندعها الآن في موقفها تنتظر نهاية الكلام الذي سننقله للقارىء



الفصل الخامس عشر

بولارد

ان الزائر الذي دخل الدهليز عقيب انصراف فورتين دوبارث كان
بيري بوردن قد جاء لمقابلة السجين بولارد وبعد ان تبادل التحية قال
الشاب لزائره

- عجبت من امساكك عن مخاطبتي مدة اشدد علي فيها وفر القهر

- ان لي اسباباً تهدي لي عندك العذر

- ما عندك

- لا بد انك تعرفت بالفيكونت سان رامي

- نعم

- فانه قد اتحل لقباً بغية ان يسترجع

- ما ارتكب هذا الفتي وعلى ما اقدم بالله قص علي قصته تماماً

- يوم عهد الي مع ما يكونن بالقاء القبض عليه

- ماذا اجترم

- انه سرق جواهر

- لمن هي

- لذلك الجوهري الذي كان يجرد مورل ولما عثر الجوهري على غريبو

رفع الامر الى الحكومة فبعثت اليها بو لنسوفة الى السجن

— هل ادركناه

— كلاً انه كان قد امتنع في مزرعة اورنشال خاصة الدوقة ديجي ليسني
فتبعناه اليها ولكن لم نفه عليه لانه كان قد امعن في الفرار قبل قدومنا اليها
— ألم يزل طريقاً

— نعم وهذا هو السبب الذي قسرني على الاعراض عن جوابك

— لا ريب عندي في اخلاصك

— ما حاجتك اليّ

— ان حاجتي لكبرى فزدني من حبك ثقة أقوى بها على كشف اسراري لك

— لا خنت لك عهداً يا اخي فبع بما في ضميرك وانا اليك بما يعود بالخير

عليك

اعلم يا اخي ان صديقاً زارني منذ سنة فاودعني مبلغ ستين الف فرنك
وبان وفي اثناء تغيبه ايهضني الدين وجد اصحابه في اقتضائهمني فاضطرت
الى ائناق قسم منه في سد الحاجة ودفع للبحاجة فما طال الزمان حتى عاد
الصديق بعد حين وطالبني بالوديعة فتددت في تسليمها فما زال يلج عليّ حتى
دفع الامر الى الحكومة فاعنتلني

— ألم يبق معك شيء من المال

— بلى عندي منه النصف لكن ارجوك ان تذهب في قضاء امر لي

— ما هو

— اقصد حبيبتى (الكسندري) النازلة في جيرة قبة النصر وبلغها حاجتي

الى يدها

— لبيك وهل لك امر آخر افضيه لك

— ان تذهب الى قصري فتبلغ اهلي ان يرسلوا اليّ السرير ثم عرج على

الموسيو بودوين وافهمه ان يبعث لي محامياً يقوم بالدفاع عني ثم بلغ مدام ميشوني

ان تدأب ارسال الطعام جريباً على العادة

- كن مطمئناً فاني انفذ اوامرك بكل دقة ولكن ابن تقضي الوقت

بعد الغدا

- اخطر في فناء السجن مع احد رفاقي الذين تعرفت بهم هنا وهو على ما

يتبين لي اشر الناس مكرًا

- ما اسمه

- السالكون

- يا له من اسم غريب

- هو زعيم الاشقياء في السجن وقد آتى من الجرائم ما يطير لها القلب هلعًا

واخيرًا قد اودى بحياة رجل وامرأة وعن قريب سيصدر عليه الحكم بالاعدام

- ما هذا الرفيق

اني ارى نفسي في حاجة الى مفارنته لانه يدفع عني شر الآخرين

عليك اذن بالحكمة والسداد في سيرتك معه

- اني اشكرك على عنايتك ما فيو بخيري

- فاسمع الآن ان اودعك على امل ان الفاك قريبًا

- رافقتك السلامة يا اخي

فعاد بولارد الى السجن تحت مراقبة الحارس وانتهت النوبة الى فرنسوا

جرمن فركض الى الدهليز لمقابلة زائرته



الفصل السادس عشر

اليفا الصبا

لما مثل فرنسوا امام ريكولت نهضت اليه فسلمت عليه قائلة له
- اهلاً بالصديق الامين

اما الحارس فاعتزل جانباً يريد ان يخلي لها المقام ويجعلها في امن من
شر العيون

فاجابها فرنسوا - يالك من صديقة صادقة في حينها لقد غمرتني بفضلك
حتى لم تدعي لي مجالاً للشكر

- حبيبي خلّ عنك الكلفة وشرح لي سبب نحولك

- آه وهل من سبب اعظم مما الاتي من احوال السجن فيخال لي في كل
دقيقة ان الخطر قريب

- وما نوحس يا اخي

- انهم اتهموا على قتلي

- لم لم تبادهم بالموانسة

- لقد ضاع عندهم اللطف وتاه الانس فلا يهون الا قتل النفس

- عسى الكرب الذي امسيت فيه يكون وراه فرج قريب

- اذا لم يكن غير الاسنة مركباً . فما حيلة المضطر الا ركوبها . فاخبريني

ما كان اثر كتناي في نفسك

ولما كانت ريكولت تترصد الفرص لتبث شكواها للجرمن وضحت اذ ذاك
اسرة جبينها وابرقت عينها فقالت

- لا يغرب عنك ما عراني من ...

- من الكدر ربما

- كلاً من السرور عند ما قرأت رسالتك ونقلت القلب من معانيها

ولا غرو فانه قام لديّ مقامك فحكى لي غرامك وشرح لي هيامك فمن لي

بلسان يقوم مقامي فيترجم لك غرامي

- هذه اوهاهم صورها لك (كبرون)

- بري اني احبك ان لم تصدق فسل قلبك

- لا تغيبني الآن معاهدتك على الحب والولاء وانا اسير النضاء

- ربما نلت الفرج بعد هذا الحرج

- آه ان تم لي الخلاص هجرت باريس

- انا لديك آية ذهبت

وعند ذلك برز الحارس من حجابو ونقدم الى ريكولت فانذرهما بانقضاء

أجل المفايلة وسار الى باب السجن فانهزت الفتاة فرصة انقلابها عنها فعاينت

فرنسوا وانصرفت وفيها هي منصرفة تصدّى لها الحارس في طريقها فقالت له

- لقد ابلغته يا سيدي او امرك فوعد بالعمل وفهما

واستأنفت المسير نشوانة من خمرة الحب

وفي اثناء انقيا فرنسوا بريكولت تمثل المشهد الآتي في قاعة (عرين الاسد)

الفصل السابع عشر

عرين الاسد

هي قاعة من قاعات السجن يجلس فيها المجرمون على مقاعد تحيط بداخلها من كل جانب

وكان في احدى زواياها باب صغير مصفحاً بالحديد وفي صدرها مستوقد للاصطلاح . وبين كان نقولا ومارسيل وبرايلون جالسين عند النار كان السلكتون مستويًا على المقعد في صدر القاعة كان لم يخطر على بالو خطر الحكم الذي يهدده ويتوعد بالاعدام . وفي اثناء وجودهم في القاعة افتتح السلكتون الخطاب موجهاً الى نقولا قائلاً

- انؤكد ما قلت

- لا ريب ان جرمن جاسوس بيننا

- ما البينة على ذلك

- حسبي ان اخذت الخبر عن ثقة

- لا بد لي ان اطلع على مصدره

- دادي مكو رواه لي

وصدق جميع المحاضرين الرواية فنهقوا كلهم فامقتل اما السلكتون فقال

- اذا حق ما تدعون وجبت معاقبته

- واي عقاب نديره

- عليّ بتديره اتفاقاً مع روبنصن
 — فاعترض احد المسجونين وكان اسمه جوفان قائلاً والحراس
 — ان فورتين يالئنا عليه
 — لا عنزم عنده ولا همة
 — ياله من ماكر خنال . اين هو الان
 — انه في ردهة الاستقبال
 — وجرمن
 — قائم هناك ايضاً
 — لا نستطيع امرآدون ساعد فورتين دوبارت
 — كيف يتيسر لنا ذلك ولا سبيل
 — قلت لكم اني انا زعيم به
 — واذا درت الحكومة بك
 — انا الطريق فما خوفي من البلبل حبذا الساعة التي افارق فيها هذه الدنيا
 — فقال حقولا لا انكر باسك وعزيمتك على مناصبة الاهوال والاختار
 — وشأنك شان والدي المسكين يوم حكم عليه بالاعدام فانه استقبل المنية بجنان
 ثابت وثغر باسم
 — فنهض الكل يصيحون بصوت واحد فليجي سلكتون ومارسيال . ثم اطرده
 السلكتون حديده وهو يهتز تنهاً وفخرآ الى ان قال
 — ياله من يوم مشهود يوم اساق الى تلك الشجرة الباسقة في باحة سان جاك
 حيث يزدهم الناس الوقاً فيجدقون بي بعيون دامية وانا انظر اليهم نظرة
 النشوان بجمرة الغز والفخر فاربهم كيف تعلمو القيم في الحالين وتغلو الهيم
 في الامرين
 وفي تلك الاثناء سمع ضجة داخل السجن فاسرع برايلون لتحقيق الخبر
 ثم عاد علي الاثر لبشرهم بقدم روبنصن

فسأله السلكتون - وجرمن ابن هو
 - لم يأت بعد
 - بالله اخبرني عند قدومه
 فذهب برايلون ينتظر قدوم فرنسوا داخل السجن

الفصل الثامن عشر

الائتمار

ان روبنصن دخل القاعة معتمداً على رجل يدعي مورك في الثلاثين من
 عمره فلما اقبل على رفقاء نهض جميعهم لاستقباله مترحين بقدومه قائلين
 - اهلاً بالاصديق الوفي لقد وطأت سهلاً فان فوسنا تاقمت الى روباك
 ثم تقدم اليه احد الحاضرين وقال له
 - اجلس يا وحيد ميلان وعزيزها واسمع روايات فوزين دوبارت
 - هل هو هنا
 - نعم
 - اين موضعه
 - في عرين الاسد

فاستمر روبنصن سائراً الى ان بلغ القاعة فرفعوا الكل رؤوسهم اليه
 واقبلوا بالتحية عليه فاجلسوه بينهم على الرحب والسعة وعندئذ انتظم عقد

اجتماعهم برئاسة السالكين فنفخ هذا بالصور فالتأم كل من في السجن تحت
لوائه ولما انتظم الحشد وقد تبوأ كل موضعه قام الرئيس بينهم يسأل روبنصن
الاشل .

- اتعرف يا صاح شاباً اسمه جرمن

- نعم وهل هو هنا

- نعم

- فهذا شاب يقوم بيننا جاسوساً فلا طاقة لنا على احتمالو

وقد استحسن الكل رأيه فذهبوا مذهبه

اما الرجل الذي كان رفيق روبنصن لم يتهافت الى التصديق قبل ان

يشع البينة ويأخذ الدليل على دعواهم فقال ارفقوه روبنصن

- ربما كان ما تدعون وهماً فما البينة عليه

- فسأه السالكون هذا الاعتراض فتقدم الى روبنصن وهمس في اذنه قائلاً

- من هذا الرجل

- هو رفيقي

- اياك ومكره

- كلاً فانه ليس كما توهمت

- فهاج المسجونون وصاحوا دوننا بافهام جرمن

فاستأنف روبنصن الخطاب قائلاً - ان رجلاً يدعى جاك كفل هذا

الشاب فتشأه على شهر الاساندة ثم وضعه في مصرف نويل في «نانت» الى

ان نفذ مال جاك فاغراه على السرقة فابى واعلم صاحب المصرف بمكيدة كفلوه

فالبت المحصور يضجون طالين اعداءه خوف ان ينف باعماله لدى الحكومة

فيشهر امرهم ويذبح غدرهم الى ان قدم برايلون لاستماع الحديث دون

ان يبصر بالرجل الغريب الذي كان دخل عليهم عند ذكر جرمن

اما مورك رفيق روبنصن فكان يعارضهم بقوله

- اننا لا نقدر على اعدامو

فقال له السلكتون - لماذا

- لتردد الحراس بيننا

- لدينا اذن سبيل ندفعه اليه

- ما هو

- اننا ندعو فورنين دوبارت الى قصّ روايته فياتي جرمن لاسماعتها

ويينا برانا الحارس متألين حول الراوي ينصرف عنا ويخفي لنا الهجال فننقر

فيوما شئنا

- احسنت ولكن ربما جاء الهنا بولارد

فدهش مورك من هذا الكلام وقال - أبولارد هنا

- نعم وما الداعي لانذهالك

- انه سلب لي كمية من الدراهم

فعالة المملكتون - بن تعني

- بالضابط

- انعرفه

- عن يقين

- فلا نتأخر اذن عن الاخذ بشارك

- للحال

وفي تلك الساعة قرع جرس الطعام في السجن فجلسوا جميعهم على المائدة



الفصل التاسع عشر

إضمار الحقد

ان السجين الذي كان قد دخل خفية قاعة عربن الاسد اثناء الحديث لم يبال بمكرهم لانهم عندما دخلوا على الطعام اتخذ كل الوسائل التي نفيها الشبهة فغلبس عليهم حتى اذا انتهوا من طعامهم قاموا جميعاً الى القاعة حيث يتوقعون استماع رواية فورتين دوبارت الذي كان لم يزل وقتئذ على المائدة مجالساً جرمن فيجدته بما ياتي

- قد قصدت يا اخي ان اخلو بك لاكشف لك ما في ضمائر برايلون والسلكتون من الشرف قد تفاوا على قتلك فالحذر كل الحذر من غدرهم وما اتينك هذه النصيحة الا بيان ما في نفسي من معرفة الجميل لشقيقتك ريكولت عما تبديه نحو شفقي من الخبر فاعمل بها حرصاً على حياتك والعلام ولما انتهى من كلامه قام يريد القاعة حيث كان السلكتون بانتظاره وقد الحج عليه بالحضور عجباً بلسان نقولا مارسيال

وفي تلك الاثناء دخل الضابط بولارد فاشار السلكتون الى مورك ان ينهض لمقابلته وتزاعه فما كان الا كطرفة عين حتى نهض مورك فتقدم الى الضابط وابندره بضربة قاتلاً

الدرام للدرام

فتعلم لسان بولارد وذهت برهة ثم تمكن من الكلام فتال

- وبل امك ما هذه الجراة

- مات الدرام دون اعتراض

وما زالوا يتبادلان الشتم الى ان اقضى بهما الى اللكم ثم الى الضرب ففاز
مورك بخصمه اذ تصدى له بضربة القنط على الارض موجعا فاشتد الهياج بين
النوم وعلت الجلبة فاقبل المحارس للحال على محل الحادثة ففصل بين الخصمين
فساق الجاني الى والي السجين واعتقل بولارد في غرفة بمعزل عن الاخرين
وفي تلك الاثناء قصفت الزوابع وهطلت الامطار وتالت البروق
فاجلت لنا بوميضها عن كان داخل قاعة عربن الاسد . فراينا السلكتون
وبراييلون ونقولا مارسبال وروبنصن الاشل والغريب الذي كان قد دخل
السجن خفية عن برايلون وغيرهم من الاشقياء الذين ضمهم السجن فوجد بينهم
وبينا كان هؤلاء مجتمعين يتجادلون سوية دخل فوزيت دوبارت فابتدعه
السلكتون بهذا السؤال

- ما الداعي لنا نأخرك

- حديث جرى بيني وبين جرمن

- أنت كنت تحدث الجاسوس

- انكم لعلى ضلال من امره فهو ليس بجاسوس بل من الكرام

- لا صحة لما تقول

- بلى وتربة والدي ومع ذلك ما لكم وله فان غدا ينصرف عنكم

- الى ابن

- الى مكان اخر

فمرت السلكتون دهشة لم تمنعه من اتمام الحديث فاطرده موجها الى

برايلون

- هيا بنا اذن الى العمل قبل فوات الوقت فان لدينا ساعة من الزمان

ينقضي بها ما فكرنا فيه وعندنا النية عليه

فنبضت ثم فريسة فورتين وقال - عجبا لما تلجون في الايقاع بهذا المسكين
وما عهدت له ذنباً

- ان لباويلون ثاراً عليه ولكن من يعلم ربما يعدل عن حذره عليه

- بذلك بغم أجره

فقال نقولا - اني اضمن له حياة جرمن دون شرط واحد

- وما هو

- ان يقص علينا قصته المشهورة

فاجاب فورتين وقال - لا ارضى بذلك دون النفود

فاذعن الكل لرأى فجلسوا حوله وبينهم فرنسوا جرمن يسمعون الرواية

الفصل العشرون

جزاء الباغي

قال الراوي من زار قرية بولاندا الواقعة بين شارع روشيه وبانيته
فتنفذ معاهدتها وصانعها على عهد دولة بونايرت ودخل اليها اليوم مع القاريء
لرأى عجبا من اندثار تلك الانار ودك تلك التصور المشيدة التي لم يبق الزمان
منها الا على بيتين في الجهة الشمالية يأتى الى احدهما راض وحوش والى جانب بيت
اخر يسكنه رجل يدعى الدرمان وتجارته الخمر

فالرائض كان قد جمع لديه عدداً من الحيوانات ترسل الى العيش فضلاً

عن ذلك انه كان قد عني بتربية عشرين طفلاً جمعهم من الشوارع والازقة
 فنشأهم ايضاً طلباً للعيش حتى اذا اشتد ساعدهم ارسلهم واحداً واحداً الى
 القرى ومعهم الحيوانات المدربة لكسب الدرهم
 وكان اصل هذا الرجل نكرة لا تعرف اسم البشرة اسود اللسان لم يكن
 يعهد بمثل من قبل

فاعترضه مورك متعجباً من هذا الكلام — كيف يكون ذلك
 — لا عجب يا صاح فلا بد ان يكون ذلك عن وحام امه
 وفي تلك الاثناء اذنت الساعة السجين الثانية فهس السلكتون باذن
 الاشل فانثلاً

— يجب ان نبادر للعمل قبل الرابعة والحارس لم يبرح من مكانه
 — اننا عند نهاية الرواية نقضي ما كان منوباً
 ثم استطرد الراوي الكلام فقال

وكان في جملة الايلاء الذين جمعهم الرائض فني بلغ المائة عشرة من
 سنه وكان اسمه فيروس نجف النية ضمن الصفات كريم الخلق والخلق
 مكروهاً بين ارفاقه • فبوما اذ عاد من رحلته صفر اليدين ليس معه ما يفي
 برغائب سيده حمل عليه وتهدهد بالصرب فامعن الفتى في الفرار فافتنى الرائض
 اثره الى ان ادركه فارجمه الى موضعه حيث اعتملة فبات فيروس من اجل
 فساوة مولاه على فراش الفلق والوجل لا يلبس له مضجع ولا يخف له مدمع الى
 انه يبيتا كان ذات ليلة ملقى على وساده ولجبت ذبابه في انفه فدوخته

وعند ذلك اذنت الساعة بالربعة والحارس لم يزل في الحضرة فساء
 السلكتون من وجوده ولما لم يرد من اخراجه قال
 — بالحقيقة يا فورتين انك ثرثار مكثار لقد بالغت في الوصف حتى
 نبا سمع الحارس من كلامك

فاجاب الحارس — لا باس اني سابقي الى ان ياتي على تمام ما جرى

لفيروس مستأنفاً

فنظر المحضور كل الى الآخر متسألين عن الذريعة التي تمكنهم من ابعاد هذا الرجل انما امرائهم اما الراوي فاخذ باكمال النصة قائلاً
وكان عند هذا الرائض حيوان ضار كبير الجثة يدعى كاركوس قد سجن عليه في محل منفرد عن الآخرين

ففي احد الايام بعد ان ارسل الزمرة الى القرى ابقي فيروس عنده حيث دعاه فاحتمله الى عربن ذاك الوحش بعتك معه فاخذه بين مخالبه فمزق ثيابه وهشمة نهشياً

فصاح الرجل الغريب بينهم - آه لو كنت شاهداً هذا العراك لانتذت النبي من مخالبه وبطاشت في الوحش ففقطعه ارباً ارباً

واطرد الراوي الكلام فقال - وكان صوت الولد قد دون تلك الناحية فسمعه الدرمان فاسرع الى العربن وهو لا يعلم بالحادث فلما رأى الغلام بين مخالب الوحش خلسة والتفت بعدئذ الى الرائض قائلاً له وبلك ما هذه الفسادة وما هذا العمل

فارتجف الرائض عند مرآه فحاول ان يستر عمله بالحيلة فقال لم افعل الا قصد تطريق الغلام على مفارقة الوحش

فوجم الدرمان وعاد الى حانته فبعث الى الولد بزجاجة خمر وشيء من السكر ليعالج بها نفسه من الذعر والضعف

فاخذها الرائض وبدلاً من ان يسقي الغلام منها تجرعها وعاد الى عمله كالاول

- فتهنأ الجميع تبالاً من رجل عنيف ظالم

قال الراوي ولما انتشرت سورة الخمر في دماغ الرائض شد الغلام بالوثاقات والفاه بين مخالب الوحش فقلبه برهة وكان هذا الوحش اشفق عليه من ابيه وكان ذاك النبي يصيح مستغيثاً والرائض يتهدده بالموت كلما صاح

صيحة الى ان الله اجاب هتاف الغلام فارسل ذبابة للرائض فدخلت اذنه فالتفت
على الارض من شدة الالم

- فضج اذذاك اهل السجن على الباغي تدور الدوائر

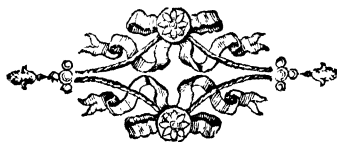
ثم اتم الراوي كلامه قائلاً - فلما رأى الوحش ان صاحبه قد استلقى على
الارض ونب عليه كيداً فالتفت له مغادراً الولد في حال يرثي لها من الخوف
والالم الى ان اذنت الشمس بالمغيب عادوا الاولاد الى المنزل فوجدوا الباب
موثقاً فكسروه ودخلوا فوجدوا اباهم ملقى على الارض مهشماً وحيالة الغلام
الموثوق فخلعوه من وثاقاته وعالجوه الى ان فرج عنه فاخبرهم بما جرى فاجتمعوا
اذذاك جميعاً حول تركة الرائض يتسمعونها بينهم

فعند هذا الكلام نهض الحارس يريد الانصراف فيرضهم على التزام

السكون فوعده السلكتون يوم ثمس باذن الاشل قائلاً

لقد حان الاجل وما من مانع يمنع ان ابطش فيك يا فرنسوا جرمن فارتى
عليه كالوحش الضاري يريد التهامه

فسلم نفسه فرنسوا تعليم الحمل للذبح دون ان يعترض بكلمة -



الفصل الحادي والعشرون

جرمن وباسمة خارج السجن

وبينا كان السلكتون يحاول الاضرار بفرنسوا واذا بهاتف من داخل السجن يقول لم يقع في النخ سواك ايها العتي الظالم فذهل الكل من هذا الكلام وانتظروا قائله . واذا بالرجل الغريب قد شئ حلقه الجمع ببأس الاسد فاخذ السلكتون بطوق رقبنه واوجعه ضرباً فتعجب أهل السجن من هذا العمل وجعلوا ينتظرون ختام الخصام وفي تلك الاثناء غلص فرنسوا وهو يرتجف من العي والضعف

وما زال الخصام يشند الى ان اتصل الخبر الى الخفراء فوجدوا عليهم مسرعين فشتتوا شملهم وساقوا فرنسوا جرمن والسلكتون والغريب الى دار الوالي ولما كان جرمن لا يقوى على السير استند الى عاتق احد الجند واضطر اخيراً ان يسقط على الارض عياء فحمل ووضعوه في غرفة هناك ريثما تثيب روحه اليه . وكان الى جانبه الحارس الذي وقع في نفسه حب ريكولت . فلما افاق جرمن نظر الى الحارس وقال له

- ليت لي اسائاً يفصح بشكري لجهيلك واحسانك لاسيما بشكر ذاك البطل الذي اسرع لتجاني من يد البغاة الظالمين . لكن بالله اخبرني اين هو الآن

- قد دخل حجرة المستنطق حيث يعطى حساباً عن اعماله

— بربك قل لي ما اسمك

— انني اجهله وغاية ما اعرفه عنه انه قضى نحوًا من عشرين سنة في سبعين

طاولون

— وما السبب الذي جيء به الى هنا

— لجرمة سرقة

— ما يكون عقاب المخترم في مثل هذه الحال

— بقيم خمس سنوات في الاعمال الشاقة

— آه يا للمحجوب كيف ان الرحمة مست فؤاده وهو لا يعرفني فانفذني من

يد الاشرار الذين ائتمروا على قتلي لاسيما من ذلك الضاري الفتاك

لا ياخذك العجب من تدابير الله واحكامه فان العالم لا يخجل من رجال

فطرت نفوسهم على حب الانسانية فيفدونها دون نجاة اخوانهم

— يا سيدي لو برحتني الحاكم فيبعدني من زمرة الغادرين

— لقد صدر الامر بفضلك عنهم وفي هذه الليلة تبين في المستنفي وغدا

نقيم في حجرة خاصة واذا عادت ربك صولت زيارتك لتجبه حالًا الى العافية

والابلال

— اني لا اعلمها بما جرى لكن الامر الذي يشغلني الآن هو التفرغ لشكر

ذلك المحسن الجواد

— اني اسمع وقع اقدام في الرواق فاحمله ينصرف من حجرة المستنطق

فما زال ذلك الرجل يجري الى ان دخل حجرة جرمن فلما رآه المحارس

رفع راسه اليه وقام مسلمًا قائلاً انك اتيت لوفق الامر فاتظرنني هنا الى جانب

جرمن واسمع منه ما يريد ان يبثك من عبارات الشكر لمعرفك

وعقيب ان فرغ المحارس من كلامه راح تاركًا الغريب وجرمن

يتبادلان الحديث . فقال الغريب

— اني اعد ذاتي سعيدًا لتوفيقني في نجاتك

- جزاك الله يا اخي على احسانك فان من كان مثلي ضعيفاً لا يلزمه
الاّ الدعاء.

- هي واجبات قضيتها فلا استأزم الشكر عنها
- لم اعهد لنفسي حقوقاً عليك

- اني عرفتك ومعرفتي بك جعلتني افنم كل خطر في دخول لافورس
فحذني جرمن في الغريب وقال - بالله قل لي كيف كانت معرفتك بي
وقد علمت من الحارس بانك . . .

فاعترضه الغريب قائلاً - اني اص
فاندش جرمن من جرائه وقال - أما خشيت عقاب السرقة او كنت
تجهلها -

- كلاً

.. ما الذي دنعت اليها أعن الناقه

- كلاً أني كنت في غي عنها وقد جمعت مبلغاً عظيماً

- من لي لك كل هذا المال

- من صديقي وصديقك رودلف

... تدعوه صديقي ولا معرفة لي به

- انكر انصبرك

- بالله اكشف لي عن غواص حديثك

فاخذ ذاك الغريب بروي النصه (وكان هو النناك بعينه قد تخطى دار

السجن للخلاص جرمن ليس غير)

فقال - اعلم ايها الشاب اني آليت على نفسي خدمة الامير رودلف ما
طال عمري واخذت عليها موثق الدفاع عنه والذود عن كل مصالحه . ففي
احد الايام امرني سيدي ان اذهب الى الجزائر لمراقبة امواله فلبيت الامر
مطيعاً الى ان بلغت مرسيليا فاخبرت ان سيدي كان قد وكل الى رجل فيها

مساعدني وامدادني بكل ما احتاج ولما كنت قد عولت الرحيل عنها وكنت
اركب البحر الى الجزائر خطر لي خاطر عدل بي عن السفر فابيت الى باريس
حيث مثلت امام الامير وطلبت اليه ان يني علي فيجعلني ابداً بين يديه لانه
يعز علي ان افارقه وان اعيش بعيداً منه . فاجاب طلبي لاسيما ان عودتي
كانت لوفى مرامي . فقال لي احسنت . رجوعك فاذهب اذن الى سجن لافورس
نجد فتى يدعى جرمن قد اعتقل عن سرقة انهم بها فاعهد بامر عنايتي
الى احد اصدقائك وادفع له مقابلة لذلك مبلغ خمسمائة دينار

فهتف جرمن - رباه ما هذا الخنو وهذه الشفقة وذاك الاحسان آه لقد
سمت نفسك الذل والصغار نجاة لي حياك الله وبياك . يا نصير الانسانية
ومثال الرحمة بكل كمل ما ابتدأت ان تطربني به فاكشف التناع عن اسرار
الحكمة والحنان

اخذت المبلغ من رودلف فاستأجرت حجرة خفية عنه في شارع بروفانس
وقد كنت تزيت بزى حديث واتحمت اسم كركوار فذهبت بعد ذلك الى
شارع التامبل فاشتريت منه ملاعق فضية وعدت الى الحجرة فالفبتهم فيها ثم
قصدت البواب فبلغته غيبتني عن المقام مدة لفضاء بعض مهام ففتلت الحجرة
وتركت النافذة التي تطل على الشارع مفتوحة واحتملت معي هذا الثوب الذي
تراه علي حتى اذا جن الليل تصلقت الى النافذة وكنت فيها الى ان مر بي
عس المدينة فكسرت الزجاج ووثبت امامهم الى الارض فالتوا للجمال انقبض
علي وساقوني الى هنا بدعوى اني سارق على ان بداتي كانت كما رأيت في
غايي

- هل عرف الموسبورودلف بالامر

- كلاً فاني فعلت ما فعلت على غير علم منه

-- لقد كدرتني يا اخي اذ جلبت لنفسك المضرة وسبها الذل والهوان حباً

في فحملتي جيلاً بنوء بي حملة طول العمر

- لا تخف يا اخي فاني كما عرفت كيف انقذك بتيسر لي ان انجي نفسي
من ضيق السجن فان الثياب التي كنت ألبسها قبلاً اودعها بيت مورفي فابعت
اليو بطلبها فاعود الى المحال التي كنت عليها قبلاً واجتمع بيواب شارع
لا برو فانس فهو يشهد لي بانني لست الجاني وقد عرفني معرفة تامة باسم كركوار
اما الآن فارجوك ان تكتب الي مورفي ان يبعث الي بالسفط وانا
اعطيك عنوانه

وبعد برهة حضر الحارس فساق جرمن الى حضرة الحاكم واخذ فثاك الى
عربن الاسد والسككتون الى اقصى ظلمات السجن
فن لنا بوصف فرج جرمن واندهاله عند ما مثل بمحضرة اللوالي والي جانبو
ريكولت حبيبته تتنظر محبي حبيبها فابتدعه الحاكم بهذا الكلام
- لقد فرج عنك فاذهب معافي واخذ بيد هذه الفتاة (مشيراً الى
ريكولت) واذهب

فقامت باسمة للحال وقالت هيا بنا يا شقيق الروح فان العربى بانتظارنا
خارجاً -

ففاض حينئذ جرمن بالشكر للوالي واخذ بيد باسمة وانصرف يريد على
العربى شارع التامبل

فلما بلغاه جلسا سوياً يتنظنان من مجاني حديثها كل طيبة . فلنغادرهما
الآن في خلوة عن العذول ولنعد الى ذكر ما كان من امر جاك فراند
عقيب فرار سيملي

الفصل الثاني والعشرون

بيع وكالة فراند

انا ندخل منزل فراند فنجلس في مكتب الكتبة لنسمع ما يدور بينهم من الاحاديث بشأن رئيسهم المسجل
قال احدهم - اني ارى الموسو فراند يزاد يوماً فيوماً غماً وقلناً
فقال الاخر - هذا ما توسمته فيه منذ غادرته تلك الصبية طريح الوجد
والهيام

- لا بُد ان يكون قد علق بجهاية
- اني سمعت عنه خلاف ما شهدتم فيو وقد قيل لي انه قد عدل الى التقوى
ومال اليها كل الميل فصار زهواً الاحسان والرافة
قال الشالومال - دعونا من هذا الحديث الذي لا طائل له وتعالوا
اقص عليكم من كل خبر اغربة ومن كل اثر اعجبة دون شرط واحد وهو
الكتائف

• - انا نفسم بان لا نبوح بسرك
- بلغني امس عن ثقة ان فراند قد باع وكالة واعتزل العمل
- هذا كلام لا يسلم به الصواب
- وعندي البرهان عليه
- من كان المشتري

- من الراجح ان يكون القائد روبرت
 - كم بلغ الثمن
 - فحوا من مليون فرنك
 - لا عجب ربما كان من قصد فراند التفرغ لعبادة الله
 - وما على الله امر عسير ربما قد تاب اليه تعالى فاحب التمسك والاعتزال
 عن الياس
 - ما للداعي الى ترصد اولئك الرجال حيناً في الشارع وحيناً اخر في
 المكتتب

- لا نعلم فلا بد من سر عجيب سينكشف لنا
 - كل آت قريب
 - ابن زعيمنا لم اره
 - قد ذهب في قضاء مهمة عند الكونتس سارة ما كركوار
 - ما شأن هذه العبيدة
 - ما لتعالى الشفاء
 - ان هذا الزعيم من أولي الجبد فقد وافته الاشغال دراكاً منذ رقي
 درجة جرمن

- فاتني يا اخواني ان اذكر لكم شيئاً عن هذا الفتى
 - هات بلا مهل
 - قد بعث امس فراند الى صاحب سجن لافورس يسأله الافراج
 عن جرمن لان الدرهم اتى كان قد انتهت بها وجدت تماماً
 = هل خرج من السجن

- نعم وصباح اليوم سار الى مزرعة بوكوفال
 وبينما هم في سؤال وجواب وبجاء واسهاب سمع صوت عربية في الدار
 فاطل الشالومال من النافذة ليتحقق الزائر فاذا هو احد اصدقاء فراند

فترجل وسار مسرعاً الى الباب فاطن الجرس ودخل يريد غرفة المسجل فدخل عليه وكان مجالساً بولودري فلما رآياه قاما له واحتما به فجلس الزائر مستعلماً حال فراند

فاجابه المسجل - لم ازل اشك من ملازمة الحمى وزد على ذلك فان الارق قد انهمكني حتى كاد لم يبق على حياتي
- قال بولودري . انذبا اخي قد نهجاً حديثاً لا بد ان يسليه الا وهو الاحسان والرحمة

- اكرمت يا اخي اني لي ان اكون كما وصفت
- بلغني ايها الصديق ان قد عزمتم بيع وكائلك
- نعم قد تفرغت منها امس وانا الآن في راحة من نصب الاعمال
فقال بولودري - ارجوك ايها الصديق ان تحرص على صيانة صحته لان الفقراء يضيئون بها ويدعون ببقائها

فاجابه الصديق - لا ريب ان العناية بالصحة لمن الامور المجالية بيد اني ارى في سيرة فراند انقلاباً عجيباً لم اقف حتى الآن على سره
- علي يا اخي ان اعرفك بالسبب
- فما هو

- ان ابقاه باليس مورل كان السبب الاكبر في هذا الابدال
فارتجف اذ ذاك فراند ولم يحسر ان يفوه بينت شفت فاعترضه الصديق قائلاً

- هل كنت ايها الطبيب في باريس اثناء هذه الحادثة
- كلاً لكننا فراند الذي لا بسر عني شيئاً اعلمني بها مفصلاً وما يزيد
ايضاً حزناً على حزن هو تعريقه القيمة مدام سبروفيم
- لاشك ان فقد هذه الخادمة التي قامت لدية مدة عشر سنوات لمفجع ولا غرو اذا بكاهم بكاء مرّاً

لم آتوه بعد من تفصيل ما آتني عليه صاحب المسجل فانه دعا اليه اخيراً
امراً ذات بعل لنقوم مقام مدام سيروفيم فاسيغ عليها النعم وارسلها من
عنده تاجر ذبول الكرامة في رياض السلامة
- ابن كان مسيرها

- الى جرمانيا حيث تركت عيالها

- لله درك يا فراند من كريم جواد

وكان المسجل اثناء الكلام جامداً مكباً على الطاولة سائراً وجهه بكفه

الفصل الثالث والعشرون

مصرف الفقراء

وفيا كان بولودري مجالساً فراند وصديقه أخذ يعرض باحسان المسجل
ويتظاهر بالشكر منه على ما افاض فيه من الخبر على المعوزين فقال للصديق
- او تعلم بما جاد به صاحبنا فراند على جاريته سيسلي وما شملها به من العناية
ولا اهتمام فانه لما آتس منها الذكاء واثار الكرامة ابي ان نقوم لديم مقام الجارية
فاحب ان يعلي شأنها الى حد انه اعرض لها بالخطأ وكشف لها عن غواض
اسرارها الخطاء فباح لها بماضيها وامدها بما يكفيها غدر حاضر زمانها وآتوه
وارسلها الى اهلها على جناح السرور تشيعها السلامة . وهبات لمن كان مثلي
ان يحيط بوصف احسانه ويعريف جيل واسع جنانه

فقال له الصديق - لقد احسن العمل جزاء الله وحقق له الامل
فقال فراند لصديقه - بالله اسألك الاضراب عن ذكر ما ابديت
والاشتغال بما من اجله دعوتك فليت
- ان دعئك وجيل انضاعك ينكر علينا الوصف والتعريف الا اننا
لا نتمالك اذا سمعنا بالاحسان من ان نذكر جميلك وفضلك بكل امتنان ومع
ذلك اننا نجعل الان النظر في ما يشغل خاطرك ويفسر جهلك فابسط
ايدك ما اجريت عملاً بأوامرك

انني اودعت مصرف فرنسا المبلغ الذي دفعته لي بنية التعويض
- لقد احسنت فان هذا المال من احد المحسنين دفعه الي من اجل مدام
فارمونت تلك الارملة التي نشأت في انجو فارجوك ان تدفع لها منه مبالغ مائة
الف ريال عندما تمثل بين يديك وتبرز البينة على ذلك
- الي اليك بكل ما تامر في به

فاعترض عندئذ بولودري بقوله - لم يتو بعد عطاء المحسن الجواد فان
ضهره بزرجه ومهضة على النظر في امر قوم اخرين لا بد له من تفتيح لما في
نفسه من الاثقال الباهظة

فسأله فراند - عن نعي

- انني اوجه نظرك الى عائلة مورل المسكينة
- اصبت يا اخي فارجوك ايها الصديق ايضاً ان تمد هذه العائلة بشيء
من المال الذي اودعته الى قدر لا يتجاوز مائة دينار

ولما كان بولودري عالماً بأسرار فراند وما يمينه قلبه لم يزل يلج في استطلاع
الصديق على ما في نية المسجل الى ان حمله على الاقرار بما زوى في طبقات قلبه
فقال - اعلم ايها الصديق الامين ان صاحبنا المسجل المحسن قد اودعك المال
اعتماداً على امانتك وخلصك فلم يرغب ان يجود به عن يده كتماً للاحسان
وعدم الظاهر فيه شأن بمض الناس ولو سمح لي ايضاً اطلعك على ما بدا

له امس من المخاطر التي تسر فؤادك ويرتاح اليها كل بائس مسكين
- ما تكون هذه المخاطر

- انه خطر له ان يشيء مصرفاً في شارع التامبل عدد ١٧ من شأنه ان
قد العملة والصناع بالمال الى حد معلوم دون ربح ولا يفنضي منهم الا الوعد
الصادق بالفداء متى مكنتهم الحال وقد عزم ان يقيم والياً على هذا العمل زعيم
كتبه القديم الغني الشيط فرسوا جرمن تعويضاً له عن التهمة التي اوقعت فيها
منذ مدة مستطيلة قامى فيها فرسوا الذل وتعرض لحسارن حياته

فاجابه الصديق - انتي لا اري عجباً في ما اسمع عن صاحبنا من اثر المبرات
والخير فان مثله من يدرك الغنى الحقيقي وقيمة الاحسان في الاخرى

فقال بولودري لوعلمت يا اخي بعيشة فراند في الماضي وشظفها مع سعة
ثروتو وطول باعه آه لما كنت تصدق الان ما تشهد بعينك ونسمة باذك
- لا عجب فان من مائل الفقراء بالعيشة فحاكمهم بالصيرة مع سمو منزلو لم
يكن ذلك منه الا عن رغبة في اخبار احوالهم حتى اذا حان الوقت الذي هو
الان فيو يلجس الى مساعدتهم وتجدتهم

ثم نظر بولودري الى فراند وكان قد امتنع لونه واكفهر فقال له
- ما بالك يا اخي لانسر باعمالك فان مثلك من بفاخر الآف اعظم
رجال البلاد واثرهم

فاجابه الصديق - انه لا يريد ان يعتد ببطلان مجد هذه الدنيا وفي نفسه
نزوع الى الاخرى حيث ينتظر المجد الحقيقي والسمو الدائم

ثم اخذ بولودري بيد فراند قائلاً له - بما تمنع يا اخي وقد سرى عنك
الهم في اشغال مجهدة

- آه اني كنت افكر بتوسيع نطاق هذا المصرف وتدير الذرائع التي
تكفل نجاحه ودوامه

ارجوك ايها الصديق ان تعتمد في ادارته على لجنة توليها خاصة للرأي

والمشورة في العمل . وإن تسعى في كل طريق لاداعة هذا الاثر الحسن ليقبل

الناس عليه علم يفتدون بي فيزداد الخيرو يرتد الفقر عن باب الانسانية

- لا ريب انك تنال في الهلاء جزاء احسانك فيكافئك الفائل « حبيبوا بعضكم بعضاً » جزيل المكافأة

- ثم اطلب اليك ايها الصديق ان نعتد ايضا في تهيد ما كلفتك اليه

على رأي ولتر مورفي وهو صديقي فامتند اليه ويح له بما عندك مني وليس لسواه

- اني استنفد الوسع في اجراء ما يكون لك فيه تمام الرضى وللمصرف

غاية النجاح لكن مالي اراك وقد اكمد لونك وخارت قواك

- آه يا اخي اني ضعيف وقد جهدتني الافكار فاضرت بصحتي ولكن لا باس

فان الله ينظر الي بعين عنايتو

- من الراي ان نلزم الفراش حرصاً على صحتك وان تستدعي طبيبك

فقال له بولودري - اني انا طبيب وقد رأيت ان لا بد للمسجل من

التزام الراحة ورعاية صحته كل الرعاية

- فعليه اشرع الآن باجراء ما اشار اليه الطبيب وها انا انطلق عنك

بعد ان ادفع اليك الوصل بالقيمة

وبينا كان الصديق بسطر الوصل نظر بولودري الى فراند نظراً

لا يقوى القلم على شرحه وبيانو . ولما انتهى الصديق من تسطيره ودع المسجل

وانصرف تاركاً بولودري الى جانبه

لا يخفي ان رودلف توصل بسعيه وجهده الى اكراه فراند عفاباً له على ان

يأتي ما اتاه من هذه الاعمال لاسيما انه احب ان يعاقبه بتشنيب المال الذي

جمعه بالاعساف والمكر

الفصل الرابع والعشرون

— ❦ —

الندامة

ولما خرج الصديق من حجرة فراند وقد خلا لبولودري المقام نظر الى
المسجل فقال له - لقد استوفرت عليك حتى الدائن
فاجابه فراند بصوت دوت منه ارجاء المنزل - سحقتا لك من مضاع
مخاض جملتي على تسليم مالي الذي كابدت من اجل احرازه شق النفس ثم تاب
الى نفسه فقال

- كلني لا بد ان يستوفي منه اجلاً او عاجلاً
- لولا لم تفعل هذا لكان السند نصيبك
- لكن قد أدبت فوق ما علي فان مبلغ مائة الف ريال كان كافياً للوفاء
- لم ينتو بعد ما عليك
- ويلاه وما يتمددي
- ان الامير رودلف لفي المصايد وهو على بينة ما عليك فلا يزال
بك حتى يستوفي احكام النص الفائل . « السن بالسن والعين بالعين »
- فالفرار الفرار اذن قبل ان يدهني البوار
- من اين لك ان تفر ومن فوقك ايدي الذين يراقبونك انا . الليل
واطراف النهار
- ويلاه فالمرت اذن غابتي

- هب انك فررت من عدوك فالحكومة تبعث في اثرك رجالها فتقبض عليك وتودعك السجن الى ان تقبض روحك فالوسيلة الاذعان وهي خير لك وابقي

- أأسلم ذاتي للفنل

- دون ريب

- الا انصرف من امامي يا كل البلاء والأاذقتك الموت

- الا تدري بانني لا ابالي بوعدك ووعيدك وزعمرك وتهديدك واعلم

اني مجبور ان اقدم شهادة في كل احوالك جزاء ما نابني من الخسار عن يدك

فقد اضعت نعيي سدى

- انسيبت ما اخذت مني من المال بدل ثعبك في تسميم اخي مدام فارمونت

التي ابليتها انه اتحر

- ان امرنا قد اشتهر بسبب تطوحك في غرام سبيلي وتسليمك لهاها

- صه لا تنه بهذا الاسم اصلاً

- يا فراند علينا بالاقرار فراراً من الهلاك

- آني ارودلف دلا كنا

- له نصراء واعوان وفي جملتهم سبيلي

- قلت لك ان لا تافظ هذا الاسم بحضرتي

- مها بفل فان في غرامك كل السبب وهو داعي الويل والخراب

- لا تلمني في حب من فعل الخطيئة في قلبي فعل السهام . فلو عانيت

صدها تلك اللبلة لاصابك ما اصابني من الجوى والهمام

- فما تأمل بعد ما اخلط في عنكك

- ليس الا ذكر حبها المقيم في فؤادي . اواه ومن تدري سبيلي بالحال

التي غادرتني عليها بعد عناء وشفاء . وصد وجفاء . ما امر ما يقاسي الاحباب

من الوان العذاب

فما كاد يتم فرّاند شكواه حتى استلقى على المتكأ دون حراك ولم يكن إلا
الذليل حتى فرغ الباب فدخل زعيم الكتبة فابتدره بولودري بالسؤال عن
مراده فاجاب - اني اطلب فرّاند

— انه نائم فما غرضك عنده

— عليك بنجدته قبل فوات الفرصة

— فما يهدده من الاخطار

— كنت لدى الكونتس عن امره فكلفتني ان اسند عيه اليها واذا تأخر عن

الذهاب يقبض عليه لان الابنة التي كانت اذاع خبر موتها لم تنزل حية وهي
عالمة بمهرها (ان الكونتس تزعم بان ماري ما زالت في سجن سان لازار كما بدا
للقارى من احوالها وقد جهلت ما اتى على النفاة من الحوادث التي ابعدها منه)
فهز بولودري كتفه استخفافا وقال - دعها وشأنها فان لا اثر لما تزعم

— انحسب ان هذا الجواب كاف لدفع المضار

— كن في أمن من شرها ومع ذلك اني سابلغ فرّاند متى افاق

— كيف اصبر يا مولاي على البلاء وعند الساعة يقدم اليه حاجبهم

الغراندوق مكسيميليان رودلف

فنبضت فريضة بولودري عند سماعه هذا الخبر فقال في نفسه لا بد ان

يكون قد اجتمع رودلف بالكونتس بعد فراق طال سبع عشرة سنة . آه ان هذا

الملتقى الغريب يفضي بالخطر ويتوعدنا بالضرر . ثم التفت الى الكاتب وقال

— سر وانا ابليغ فرّاند الخبر على الاثر

الفصل الخامس والعشرون

رودلف وسارة

لقد حان الزمان الذي به يتيسر لنا الدخول الى قصر سارة ماكر كوار
فنطلع على ما كان من امرها اثناء تغيبنا عنها
ففي اخر النهار الذي خطر لنا ان ندخل بالفارسي الى ردهة القصر حيث
حصلت الخيانة كانت سارة جالسة على المنكأ الى جانبها شقيقها توماس وحيالها
جاريتمها تنتبيل الامر

فقالت لها سارة - اياك ان تغفل اعلامي بخبر قدوم رودلف -
فاحتت الجارية رأسها علامة الخضوع وانصرفت فالتفت عندئذ سارة
الى شقيقتها وقالت له - لا برج ذكر ذاك اليوم من خاطرك ...
- آه كفى تريدن نفسك اوهاماً فالتمها عنك -
- لا سبيل يا اخي الى السلو
- لا يتعذر على الانسان ان يلهو بنفسه متى نفسهما الاشجان
- اكاد افقد رشدي من دنو رودلف الي
- هو في عليك
- آه ما أشد عجة اذا علم بان ابنته لم تزل حية وانها الآن نزيلة سجن
سان لازار

- ما بالك اليوم قد تربيت بزي غريب

— هذا هو الزبي الذي قابلت فيه رودلف المرة الاولى في ردهة

جبرلوسين

— ربما تزيد الذكرى غيظًا

— انه رفيق بي ولا بأس اذا تذكر تلك الليالي التي مرّت بنا وقد كان

فيها بدر انسا كاملاً

— أنسيت وقتاً خفيض من قدرك فيه والده

— آه وقد يؤيد رحمته بي اجابة دعوتي

— متى وعدك بالزيارة

— قريباً

— لقد اخطأت المرحى بكتابك له عن وجود الابنة

... كلاً بل اصبحت لانه يسر جداً بهذه البشري ولي منها جدوى عظيمة

وبيناهما في سلب وإيجاب سمع حركة عربية في فناء القصر فاطل توماس

من النافذة ليراها فاذا هي عربية الامير فقال

— لقد أتى رودلف

— بالله ارجوك ان تعزل عني الان فتدعني اخلو بنفسى برهة وهان

ضربان قلبي قد اشتد

— خنضي عليك ربما يكون لك بهذه الزيارة عود الامل

— اه اني افارق المحيرة يوم البس الناج

فما كاد توماس بفصل عنها حتى مثل امامها رودلف بصفة رسمية ولما

رآها على المنكأ اندهش من مراها فارتد الى الوراء مذعوراً . اما هي فرفعت

اليه رأسها وقامت الى لقياء قائلة

— لقد حسبته مائتة فانبث الى وداعي

— هذا ما روه لي فكان كذباً وبهتاناً

— ان العناية الالهية سافتك اليّ بعد بعاد اسبوعين من نوات لبتعني لي ان

اليس التاج قبل ان يدركني الاجل

- هات ما عندك

- اني اشكر الله الذي امدني بالعمر فوفقني الى الاجتماع بك مرة اخرى

لاودعك سرّا كنت اخاف ان افله في قلبي فادفنه معي في اللحد

- ما هذا السر

- هو سرّ اخاف اذا باد هتك بكشفه وان ازعجك

- اكشفه حالا

- ان ولدنا لم تزل حية

- فتأثر فؤاد رودلف من هذا الكلام فردد . سروراً . أولدنا .

ما نقولين . لم تزل حية

- نعم وغدا تراها

- لا اصدق ذلك

- هذا جرحي بشهد لي

- هذا خداع منك

- كان قد خطر لي قبلاً ان اموه عليك فاي الله الآن انيك الحق

فضربني هذه الضربة جزاء مكري . وعقيب ذلك بلغني بشرى حياة الابنة

- باللائق وغرائب

- اتعرف من هي ولدنا

- استخرين مني

- كلا دونك هذا الصندوق افتحه تجد رسمها والى جانبه ورقة كتبها

بدمي تاكيدا لمقالي

- نقشتها بدمك

- نعم

- فالمرأة التي طعنني هي التي بشرتني بحباها

- من ابن اتصل الخبر
 - كانت كذيلتها منذ حدثتها
 - صرحي باسمها
 فاند هشت سارة للوقت من الحاح رودلف فقالت - اسمها جوقيس
 - ابن هي الابنة الآن
 - مهلاً ساعلمك بها بعد انمام الحديث
 - ان الولد هي منك ادني من قاب قوسين
 - كيف كان ذلك
 - انني انا التي جنيت عليها فعرضتها للخطف من مزرعة بوكوفال ولكن
 قصر كل ساعد عن ساعد الله فانه وقاها كل ضرراً والفاها سالمة في سبعين سان لازار
 - انها خرجت منه وانت كنت سبب هلاكها
 - ماذا اصابها ما نابها
 - انها غرقت
 فنهضت سارة وهي تصيح اسفاه أو هل قضت نحبها
 - أغنية هي والدك ...
 - نعم حسب قول البومة لهني عليها لقد ماتت ظلماً
 فارتجف رودلف عند هذا الكلام وقال
 - أهى التي كانت في مزرعة بوكوفال
 - نعم نعم هي ذاتها
 - فسكني روعك وشرحي لي السبب الذي حملك على ما فعلت
 فليشت سارة برهة صامتة لا تنبس بكلمة لكثرة ما كان يتنازع ذهنها من
 الخواطر المزعجة الى ان جمعت اخيراً شتات الحفيفة فقالت
 غريب ان حدث بيننا ما اوجب الانفصال في جبرلوستين اخذت الابنة
 فاخنيها حذراً من ان تظالمني بها الى ان بلغت الرابعة من عمرها دفعتها الى

مدام سيروفيم قيمة المسجل فراند وبالاتفاق مع بطرس تورغين النازل الآن
في سجن روشفور اذا عاى اخبر موت الابنة حيلة ليستزيدوني مالا

— اني في ريب مما اوضحت والخبر مكذوب فيه

— ان السفط اقبل على اوراق شتى ثبتت قولي

فما اتمت سارة سرد قصتها حتى وقعت مغشياً عليها فاغنم رودلف هذه
الفرصة فتقدم الى الطاولة واخذ بقلب النظر في الاوراق التي انتزعها من
السفط الى ان وقع نظره على رسالة كانت قد بعثت بها القيمة مدام سيروفيم
الى سارة تخبرها فيها ان الابنة لا تزال حزينة لبعدها وهي تطلب ابداً مقابلتها
فلما انتهى رودلف من قراءة هذه العبارة عرته هزة شديدة من الاضطراب
والقلق فارقي على الكرسي يصعد الزفرات ويدرف العبرات

اما غنية فلم تنزل في بيت الدكتور كريفون غير فادرة الى مراسلة مدام

جورج

الفصل السادس والعشرون

الخصام

بينما كان رودلف يبكي كانت سارة قد ثابت اليها روحها فجلست على
المنكأ وهي ترنح من شدة الالم والوجل . فتقدم اليها رودلف قائلاً
— لقد لقيت الآن جزائي في موت ولدي هكذا يعاقب الله من يهرد

- على والديه فهذا جزاء ما فعلت مع أبي فاسعي لي
- بالله اني عالمت بما تريد قصة علي فاعدل عن ذكرى ذاك اليوم ...
- لا بد ان تعلمي بما كان ويكون لا نك انت كنت السبب
- رودلف لا نظمني بل كن شفوفا رحوما
- لا شفقة على من لا يعرف الشفقة وما مس قط فؤاده حنان كيف
- ارفتى بك انت التي لم ترفقي بولدك فدفعته الى القساة والبغاة بل عرضتو بيدك
- للموت بل انت قتلتو
- رودلف بالله رودلف قد جرت بحكمك حتى عدلاني بوحوش الفلاة
- وكواسر الجوّ
- آه ألا تذكرين يوم الوداع الاخير منذ ١٧ سنة
- نعم ولكن اريد نسوانه
- لا يقتضي ان تعلمي بانني اتركك على بنات الامراء فجعلتلك لي زوجة
- على رغم امر والدي ونهيه فدفعت عنك ضرباته الشديدة وصديقي مور في شاهد
- بذلك
- كنت اجهل كل ذلك
- كفي ما نزل بي عقابا وكفارة عن ذنوبي . فضلا عن كل هذا ان
- بولودري الذي كان السبب في افترائنا اودع السجن فانكر صحة الزواج التي
- بيننا وقد أيد قوله بكتاب بعث به الى اخيك وفيه توقيعه
- آه ما هذا الافتراء وهل تصدّق يا رودلف قوله
- نعم وقد كان من عزمك الافتراء على والدي
- فاقض اذن علمي بما نشاء
- هو الله يقضي بيننا . فاعلمي انه لما بلغ كتابك الى والدي قرأته فجنوت
- امامه طالبا منه العفو والسماح ففعل ثم تركت البلاد قاصدا هذه الديار فاتخذت
- باريس محط رحالي ونقطة اعمالتي فجبرت لمساعدة البائسين ونهضة المساكين

- هل لديك من الاخبار غير ما اوردت
 - وعنيت ان رويت الناس من التجول في اطراف فرنسا قصدت
 جرمانيا ومنها بعثت بطلب الابنة فتعينا لي
 - لم اخطيء بالجواب لان الاوراق التي اطلعت عليها تنهني هذا الخبر
 - لكن انا اخبرك بما فاست الابنة من العقابات في دور حياتها
 - ربي كن لي معيناً
 - انذكرين ما كان تلك الليلة في نزل الارنب الايض ابنة جدت في
 انري مع اخيك توماس

- نعم
 - أما رأيت في الحانة تلك الفتاة البديعة الجمال التي تدعى (فلبردي
 ماري) وقد احدثت اللصوص بها من كل جانب
 - لا لا دعني من هذه الخواطر
 - أعرفنها
 - بالله ارحمني

- هي في ابنتي ورثة عهد جيرلوستين وهي التي دعاني الله بصوت من
 العالم الى نجاتها حين الشدة

فنجبت اذ ذاك سارة وجهها بكفيها وقالت - ساقضي معذبة في الدنيا
 والاخرى

فاعترضها رودلف باولو
 - لا بد ان تعلمي بما فاست الابنة من العذاب فانها كانت عرضة لحر
 النهار وظلام الليل تبيت على المرداء تحت المجرءاء . والى جانبها تلك البومة
 تشع الموط من جلدها والكف من خدما الى ان قلعت اخيراً اسنانها
 - ياله من عذاب اليم

- لم ينتو بعد شره . فلما تمكنت المسكينة من الفرار التقي بها العس فألقي

القبض عليها شأنه مع المجرمين فاودعها السجن فنضت فيونحو ٨ سنوات الى
ان فرج عنها فراحت تسأل الناس القوت وهي تطوف بين انياب الناقة
ومخالب الموت فلأبت تفر من شدة الى شدة الى ان ساقها القدر الجائر الى
منزل جاك فراند فكانت فريسته

فارتعدت فرائض سارة عند ذكر هذا الاسم - فصاحت رحماك لا تنكل

لقد وهي جلدي

- لكن لا بد ان انتقم لها من فراند فاذيقه ما اذاقها

ثم توجه الامير نحو الباب فاستوقفته سارة صارخة

- الى ابن المسير . بالله لا تغادرني لوحدي اني اموت لا محالة

- دعيني يكفيك ذكر ولدك الهنا حتى المات

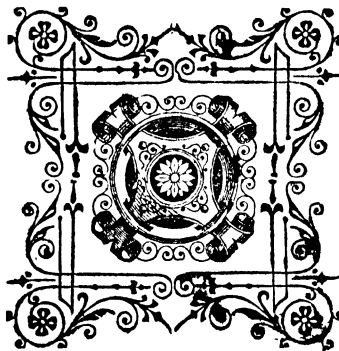
فارتدت سارة عند اقدامه وهتفت - بالله لا تكن والزمان عوناً عليّ

- لا بد لي من الخروج على فراند . عنيّا تحاولين توقيني دعيني اذهب

الحال .

فخرج رودلف عجلًا الى فناء النصر فركب العربية ينهب الطرق الى وكالة

فراند في شارع ساتيه عدد ٤١



الفصل السابع والعشرون

جزاء الباغي

ان الليلة التي قصد فيها روداف وكالة فراند كانت شديدة الحلك كثيرة
الامطار والزوابع . وكان فراند انها قد اصاب بحصى الفته على فراشه
والزمت بولودري ان يقيم عنده لانه كان ينتظر وفاة المسجل وقتاً بعد اخر
و بينا كان بولودري يتمشى في صحن الغرفة قصفت زوبعة شديدة فالقت
مدخنة المستوقد الى الارض فاتته جاك من رقاده مذعوراً فصاح ما هذا
الاضطراب فاجابة بولودري - لا تخف امراً

- أأنت هنا يا بولودري

- نعم اني الى جانبك

واذ كان فراند لم يزل تحت وطأة الحصى اخذ يهدو قائلاً

- لا لا اني اسمع صوت سبيلي تناديني اليها وتدعوني حبيبها

- خلي عنك ذكر هذه الشقية التي كانت سبب عنك بل تكون علة

مونك

فصاح فراند - آه لا لا ابداً . . .

- ما هذا الهيام

- آه اني اراها تنقدم اليّ ها قد وقفت حياي

- لا شيء يتقدم

- بلي بلي ها هي امامي
 - ممكنة سيسلي قد قضت نحبها
 - لا لا وقها الله انها لم تنزل في الحياة لتكمل عذابي
 - قلت لك يا فراند ان تنزع عنك هذه الافكار فانها تعجل اجلك
 - ولم يكن الا برهة حتى صاح فراند باعلى صوته اطفئ القنديل فانه
 يضعف بصري
 - لا اثر للنور فانه ضعيف
 - لقد افهنتني انه يوذي بي
 - ما بالك يا بولودري تهذو فلا مصباح ولا نور
 - ان ناراً مستعرة تلهب امامي
 - فمعد ذلك اطنا بولودري المصباح فاظلمت الغرفة وفي ذاك الحين
 سمع صوت عربية وقفت امام باب الشارع فاشغله سؤال فراند عن الانتباه
 الى ما سمعه لانه كان يلح عليه ان يدعه يخرج الى غرفة سيسلي فيمنعه بولودري
 ويسكن اضطرابه قائلاً - ان سيسلي ليست في الغرفة التي تريد ها فما بالك
 الليلة فاقده الرشد
 - كلاً كلاً انني اعلم يقيناً انها ليست في الغرفة بل انا اقصدها حباً
 بالذكرى فارى موضعها فبرناج قلبي ويسكن بالي
 - البث مكانك فما انا اسمع صوت سار خارجاً
 - انت تريد خداعي
 - ان لم تصدق فاسمع
 - هذا صوت سيسلي ربما تدعوني فدعني اخرج اليها
 فتقدم فراند الى الباب فصاح بولودري - ويلاه ما احباني بالله المدد
 لله المجدوني وكان قد طعنه بحربة سيسلي المسمومة فكانت الفاضية
 فلما سمع روداف صوت المستغيث اسرع نحوه مع رفقاءه . فكان فراند

قد فتح الباب ووقف بالعتبة والخبر في يده فتلفاه رودلف فللمحال سقط فراند
على الارض دون حراك فامر رودلف ان يحمل الى غرفة اخرى غير التي
كان فيها بولودري . ولم يكن الا برهة حتى عادت سكينته فتذكر كلام
سيسلي فصاح

آه اني قدمت اليك يا حبيبتي لكن بايدي نخضبت بالدم . . . وامامي جثة
ابنة مورل . وشقيق الارملة . (مدام فارمونت) وغنية وخدام سيروفيم آه كل
هؤلاء لا يتمثلون امامي لكن لا اخاف احدا . وها انا ذاهب الى سيسلي
واخذ يدب على الارض ويسرح شأن الصل الى ان اعينة الحركة فسقط
وقبل سقوطه فاه بهذه الالفاظ

الوداع يا سيسلي الوداع لو سمعت لي بالرضى قبل الفراق لكنت شفيت
النفس من حر الاحتراق فسلمتني للمنية مرتاحا . واخذت مالي مباحا

الفصل الثامن والعشرون

المستشفى

بذكر القاري ان ماري التي انقذتها لالوف من الغرق في نهر السين
نزلت في دار الكونت سان رامي حيث كان يمرضها الطبيب كريفون
ولانرى من حاجة الى وصف المستشفى ومن يأوى اليه فلننصر من الكلام
على ذكر ما جرى فيه اثناء وقوفنا في احدى غرفه وقد كاد يتصل خضاب

الليل . فاننا سمعنا وقع اقدام ساريته جهة الغرفة وما زال يسري الى ان دخل وكان عابدة مشحمة بوشاح ابيض ويدها شمعاً مضاًة لتقدم الكاهن فوقفا الى جانب سرير احد المرضى الذين اشفوا فانتبه المرضى من رقادهم وتطلعوا كلهم الى ما يجري بينهم وكان في جملة نزلاء تلك الغرفة ثلاثة اشخاص قد عرفناهم من حديثهم وهم . كلاره فارمونت . لورين . جوليات . دوبارت وقد سمعا لورين تقول همساً - سقياً لها فقد نجت من هوم هذه الدنيا فاجابنها جوليات وانا اهتمها ايضاً اذ سارت دون عتب

- فكم رزقت من البنين

- ثلاثة واثنت

- ابنة لا غير وقد قضت نحبها منذ امد يسير

- بما تعلمين

- كنت اشتغل في الغسيل ومن جراء الحزن الذي استولى علي اثر وفاة

والدي لازمتني الحمية فانهطعت عن العمل وتعلقت باكف المحسنين فاخذت احدي الفاضلات بيدي وبذلت نحوي ميسورها

- ما اكثر المحسنين وقد صادفت ما تصادفين اثناء قيامي في سان لازار

فان احدي الفتيات الكرمات لما علمت بما بي من الاملاق اخذت بناصري

فاجرت علي من فضلها ماسد رمقي وقد اودعني اسمها (ريكولت) وعاهدني

على ان اخبرها عند ميسس الحاجة

فصاحت لورين عجباً - اندعي ريكولت

- نعم فما الذي قضى بالعجب هل لك عهد بها من قبل

- كلاً انما سمعنا هذا الاسم من فم النني كانت قد كفلت حيائي فقالت

لي ان لها صديقة تدعى بهذا الاسم

- ما اسم كفيلتك

- غنية . ماري

- هل ما زلت تتردد بين اليها
- قد مرّ بي زمن طويل ولم أرها فلأربب أنها ملك تقمص جسم انسان
- ثم اجهشت اورين للبكاء فاستطردت جولات حديتها فقالت
- صبراً يا لورين فمتى كان عهد مرضك
- منذ ثلاثة اشهر وما يتبين لي ان الحياة وعرة لديّ
- لا باس عليك فان من كان بعرك كان في امن من الخطر الشديد
- لا يدفع العمر الخطر فان الاميرة التي قضت الان هي من دوني عمراً
- أو هل التي ماتت الان اميرة
- نعم وقبل ان تجود بروحها بعنت بطلب احدا نسبائها لينقل جثتها

من هنا

- هل قدم اليها احد
- كلاً
- يا ويل من كان جاف القلب عدم الشفقة
- انها آلمت كثيراً عليه بالقدوم فقضت دون ان تنال سوءها
- عجباه وما حاجتها اليه
- انها كانت تخاف ان يزروا بجثتها فينتهكوها بعد وفاتها
- فعليه اني اطالب اليك حاجة كلية
- ما هي
- عديني بانجازها
- لك ما تأمرين
- اني ساخلف لك مالا اضعه تحت وسادتي حتى اذا آذنت ساعة سنري
- كفلت فيجهيزي
- خلي عنك هذه الوسواس
- هذا كاس لا بد ان يشر بها الجميع من رفيع ووضيع

- انك ذكرتني عند ذكر الرفيع بفتاة جيء بها امس الى هنا ولم تبلغ
بعد السادسة عشرة من عمرها وما تبين لي انها في حال خطرة جدا فهل هي
من سراة القوم

- انها بارونة

- تبأ للزمان ما اشد سهامه . وما اقصى مرامه . ترى كم نقاسي هذه من

حدثاته

- هل صحبتها امها

- لا لان الام مريضة ايضا

- واين مقر الابنة

- حيالنا

- هل بلغت السادسة عشرة

- بلغت او تكاد

- اسفاه انها من عمر ولدي كاترين

- ابن خلفت اولادك

- لا ادري ما فعل الدهر بهم

- واين مقر رجالك

- آه لما رأيت منك حبا يحاكي حب الشقيقة لشقيقتها كان لابد ان اكشف

لك امري

- قولي ما بدا لك

- ان رجلي نقلت احواله وتبدلت اطواره فعدل عن النشاط والاستقامة

الى الشر فعاش سفيها

- اما لك من نسب

- لي شقيق ليس غير

- ابن هو الآن

- نزيل السجن وقد تصدق علي منذ ثلاثة ايام بثلاثة فرنكات

- وزوجك

- بالله لا تذكريني بعهد العذاب فانه بعد ان تغيب عني ثلاثة اشهر

قاسيت فيها امر الاوجاع عاد وسلبني ما ملكت يدي من عقار ومنقول ولم
يكف بما فعل حتى خطف ولدي كاترين فخطر لي ان اعترض عليه فتهددني
بالاعدام فوددت لو قتلت فداء ولدي

- ألم ترفعي الامر الى الحكومة

- فعلت ذلك ولكن لم اجني منه الا العذاب اذ ثارت في نفسي الشكوى

روح الحقد والبغضاء

- اين خلفت اولادك حين قدمت الى هنا

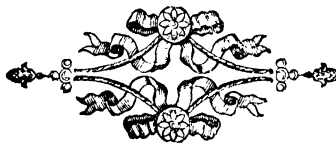
- على اكف المحسنين

- ولم لم تخبري ريكولت بما جرى لك

-- لتكذبا لعي كانت قد شغفت من مدة الى مزرعة بوكوفال حيث بمخفل

بزواجها ولما بلغت من الحديث الى هذا الحد كان الفجر قد لاح وقرع

جرس المستشفى ينذر بقدم الطبيب



الفصل التاسع والعشرون

كلارة فارمونت

ان وقوف الطبيب والكونت سان رامي في المستشفى كان داعياً للغط
فنظر الكونت الى رفيقه فساله

- هل شاهدت اليوم ماري

- لا ولكن لالوف اخبرني بانها على اتم راحة وقد طلبت الي ان اسمع لها
بالكتابة اما انا فاسالك ما عندك من العلم بشأن مدام فارمونت وولدها

- ان مدام دي هرفيل وعدتني باخبار هذه العائلة

- هل زرتها

- كنت لديها منذ ثلاثة ايام واليوم قد ارسلتها بهذا الشأن

وكان الطبيب يتقدم الى غرفة المرضى وفي اثره الطلبة حتى اذا وصلوا الى
السريبر الاول تقدمت العابدة الزاهدة الى الطبيب وقالت له - انها قضت
نحبها الساعة الرابعة

- عجباه وهل جد عليها امر عتيب عيادتي لما المرة الاخيرة

- كلاً

- فالتفت حينئذ الطبيب الى احد الطلبة وكان اسمه دنور وقال له
عليك بفحص الجثة لتعلم بالسبب الذي قضى عليها فتقدم الطالب الى السريبر
فرفع الكلة عن الجثة وحفر بالمبضع هذين الحرفين : ل د (لايجوز دفنها

قبل ان تفحص جثتها)

فهمست حينئذ جولييات باذن حنة قائلة لها - من هم الذين يتبعون الطبيب

- هم طليبة

- هل يعاينون معه

- نعم

- آه اني انجل ان ابوح لهم بسري

- لاحياة لنا بكشف الامر فانه قد اصابني ما اصابك واذرايت ان

لا بد من التسليم فاذعنت

صه فقد بلغ الطبيب سرير الابنة التي قلت لك انها من الكرام

ولما انتهى الطبيب من عيادته الى سرير جولييات دوبارت تدثرت حتى

راسها اما هو فرفع الدثار وشالها

- ما اسمك ايها المرأة

- فاجابته المريضة جولييات دوبارت

- كم عمرك

- زهاء السادسة والثلاثين

- من انت

- من باريس

- ما صنعتك

- الخياطة

- هل انت ذات بعل

فتنهدت جولييات عند هذا السؤال وقالت - نعم

- متى كان عهد زواجك

- منذ ثمانية عشرة سنة

- هل لك اولاد

- ثلاثة -

فاخرج الطبيب ورقة من جيبه وعانى عليها بعض الخواطر ثم استأنف
السؤال فقال

- ما هو سبب اعتلالك

- ليس الا الغم والكدر على اثر نزاع حدث بيني وبين زوجي فانه هلبني
بكري بواسطة كاهنة فانية

- فقاطعها الطبيب الحديث قائلاً لها

- أكشفي عن لسانك

فتعجبت جوليات من قسوة الطبيب وقالت له

- بالله اسالك ان تعني بي عناية زائدة حتى ابلغ الشفاء قريباً فاعود الى

ولادي الذين خلفتهم عند الجيران

ففتح الطبيب فمها وأخذ ينظر في حلقومها فاحصاً اللوزتين وما جاورها ثم

قال مخاطباً الطالبة - شاهدوا معي كيف ان لون الوجه مكدم واعينها وضعف

دورة الدم في الاعضاء. ثم رفع الغطاء فارناعت جوليات تنكر ذلك فاعترضها

الطبيب قائلاً

- اذا ابيت الادعان قضيت عليك بالابعاد من المستشفى. فحاولت اذ

ذاك جوليات وجهها تاركة الطبيب يبرز فحمه ولما فرغ منها عدل الى جارتها

كلارة فارمونت فريسة جاك فراند. فكانت هذه المريضة غائصة في بحور

الهواجس يتحلب من جبينها العرق البارد فيسقي ورد محياها الذابل ولشدة ما

كان يشغلها من الوسواس لم تشعر بوصول الطبيب والطالبة اليها فنامها

كربفون وفحصها فصاحت - اواه أما من رحمة لعليلة اذابها حر المحسى

فطرق هذا الصوت سمع الكونت سان رايمي الذي كان جالساً في ناحية

من الردهة فنهض يتتبع ناحتته مذعوراً فتقدم الى الطبيب وقال له

- رحماك ايها الصديق فان هذه الابنة هي ولدي وقد اسمعتني الرحمة

صوتها حين الشدة . فارجوك ان تهذل ميسورك دون مداواتها الى ان يتيسر لي اخراجها من هنا

فانذهل الطبيب من هذا الملتقى العجيب فقال للكونت
- دعني ايتها الكونت اداو بها على ما رأيت بالاتفاق مع الطلبة وانا زعيم
لك بشفاؤها

وفي تلك الاثناء قرع جرس المستشفى ينهي بقدوم زائر وسع اثره صوت
عربة تجري في فناءه فتمض الرئيس لاستقباله فاذا هي امرأة قد تردت بثوب
المحداد . وما استقر بها المقام حتى ابتدرت الرئيس بهذا الخطاب
اني انا مدام دي هرفيل وقد جئت لعيادة كلاره فارمونت

فاجاب الرئيس الطالب ونقدمها يريدان يشوهها الى الردهة حيث تنزل
المريضة الى ان وقف بسريرها وقد احاط به الطبيب والكونت سان رامي
والطالبة ولما كان الزحام قد حال دون وصول المركيزة الى السرير وقفت برهة
تنتظر تشييته فسمعت ما دار بين الكونت والطبيب من الحديث فلما رآها
الكونت فرق الزحام واحشنى بقدوم المركيزة فائلاً لها - قد ارسلك الله دواء
المصابين ثم نظر الى الطبيب فقال له

- ان من عزمي ان انقل الابنة من المستشفى
- افعل ما تشاء فاني لديك لا افصل عنها حتى تبلغ حد الابلال
- هل تأمل بالشفاء قريباً
- بعون الله
- فعليه امكث هنا الى ان تنفيق
- سمعاً وطاعة لكن علي ان اتم عبادتي

الفصل الثلاثون

ماري الملقبة بظبية الرند

قبل ان يفصل الطبيب والطلبة عن الكونت والمركيزة التي جالست الى جانب كلاره اقترح كريفون على المركيزة هذه الاسئلة فقال لها

- ابن والدته هذه المسكينة

- فقد قبضت نخبها صباح اليوم

- ابن مهرها

- في شارع براسري

- يا الشفاء تلك الام ويا لتعاسة ولدها

- لو كنت تعلم بحب والدتها لما وما استعنتها ساعة حينها من الكلام الذي

يفتت الحجاد ويصهر الاكباد

وبعد ان وقف على هذا الاثر تخلف عنها فتقدمت العابدة وجست

نبض كلاره وفحصت ضربان قلبها فقالت للمركيزة كوني براحة فان الفتاة

ستفوق قريباً

ولما خلا للكونت وجهه مدام دي هرفيل قال لها

- انا يا سيد في الكونت سان رامي الذي خاطبتك بشأن هذه العائلة

فرعيتها من اقرب الناس الي وقد كنت متبهاً من قبل في انجبه فغادرتها طمعاً

بالوقوف على اثر هذه العائلة فاشكر الله الذي وفقني الى الاجتماع بك

والاستفادة منك ما رغبت به عنها

- أنجهل شفاء هذه العائلة

- كلاً فاني قد عرفت بما نالها من شرّ جاك فرأند

- نعم هو الذي قوض أركانها وثل راحتها اما انا فقد آليت على نفسي أن

اعني بشأنها واهتم بامر هذه الابنة

- جزاك الله خيراً لقد خففت الآن بعض اشجائي بما اعلمتني به ولا ريب

ان الام قد ماتت وهي في راحة من امرو لدها اذ كنت كهيلتها

- واعلم يا اخي انها لا تحرم ارثها

- وهل لها ارث تطع به . ومن ابن هذه النعمة

- ان فراند سيعبر على اداء ما سلبه من مال اليتام والارامل بجيلة لم

يدرك سرها احد

- وابن المال في الحال

- قد اودع بد امين عهد اليه بتقديمه الى اصحابه وعموماً

- اويحكم عليه بالا عدام جزاء ما جنى على اهله لاسيما على مدام فارمونت

- اه انه قد ارتكب جرائم اعظم من هذه

- ما عساها ان تكون

- انه هو الذي كان سبباً لموت شقيق مدام فارمونت ومنذ مدة أمات

وإذا غرقاً

فارتعدت فرائص الكونت فساً لها

- ابن غرق الولد

- في نهر السين بجوار جزيرة مارسيل

فصاح عندئذ سان رامي - هي تلك الابنة التي التقيت بها . نعم هي بعينها

- فما اسمها

- ماري هل تعرفينها من قبل

— كيف لا وقد اخذ حبيها من قوادى كل ماخذ . أأنت على يقين من
كلامك

— نعم وقد عبت بامرهما مع الطبيب كريفون

— متى كان عهد ذلك

— يوم انذت من النهر

— هل نجت من الغرق

— نعم وهي الآن في امنٍ من كل شر

— من الذي انقذها

— فتاة

فلما سمعت المركبة المخبر اخذتها الرعدة وعرتها الدهشة فغأ لها الكونت
وهو في جيرة عظيمة من ارتباكها وتغلف حالها — ماذا اعتراك وما الذي ألم بك
— لم يدعني شيء غير اني لا اركن الى هذا الاثر فالرجا ان تزيدني عن
الابنة تخميناً

— اكتملت فيها صورة الحسن

— هل في عينيها زرقة

— نعم وفرعها الاصهب الطويل مسترسل على كتفها

— هل كان يشبعها عجوز على طريق النهر

— نعم هكذا قالت لنا البارحة

فهتفت اذ ذاك كلبانسان بصوت شق قلبها من الفرح بشراك يا قوادى لقد
نلت منك وفزت بما كنت تتوقعه . بالله افدني ابن حلت

— هي في دار الطبيب كريفون

— هل زلزلها الخطر

— نعم وقد اجاز لها اليوم للكتابة الى ولاتها

— آه انا الذي اضمن لها الاجتماع بوليها فما عساه ان يكون فرجها

اذا نظرت عيناها الى من احببها حتى المات

- والمرأة التي انفذتها لم تنزل تجالسها واسمها لالوف

- اني اعرف هذه الفاضلة

ثم خلت كليانس بنفسها فناجتها بهذا الكلام . ما اشد سرورك يا رودلف

برأى ماري نزهة خاطرك وغرض امانيك . ثم خولت وجهها الى العابدة

التي تقدمت الى كلارا فارمونت لئلا يرد عليها فساألها - ما شأنها الآن

- لم تنزل ضعيفة القوى

- لا بأس فاني انتظر ريثما تمتلك تمام الراحة لكن اخبريني ايها الفاضلة

ألا يوجد بين مرضاك من يستلزم الاحسان ويستدعي الشفقة

- بلى فان لدينا امرأة مسكينة تدعى جوليات دوبارت قد غادرت

اولادها عرضة للجوع والفاقة

- ارجوك اذن ان تدليني على مكانها

فنفذمت العابدة وكليانس تتبعها الى ان وقفت بالسريبر وكانت المرأة في

شباب من شدة الام فرفعت المركيزة الستار وقالت مخاطبة العالمة

- قري عينا وطبي نفسا اينها الام الصالحة فها انا جئت اليك بما يوفر

لديك الخير والغبطة فخال لجوليات ان ما طرق اذنها حديث احلام . ففتحت

عينها واحدقت الى المركيزة فاجابنها لورين قائلة - لا ريب ان الله لا يخيب

رجاء من بركن اليو ويعول في امره عليه فقد ارسلك رجاء لمن ادركها اليأس

ولذلك لما القنوط

ثم كررت المركيزة الخطاب وقد اضافت اليو هذه الكلمات . سرني وافرحي

ايها الام فانك اليوم تقابلين اولادك وتتمعين معهم

فاهتزت جوليات تند سماعها هذا الكلام فقالت - من المتكلم بالرحمة

والسلام من هذا الملك الذي عادني بعد اليأس . هل لي ان ارى اولادي

قبل المات

- صدقي كلامي وثقي بي فان هذه شئتي وشئتي صدقي
 فاجابنها جوابات - سقياً لك واصديك فلا تلوميني باسدي اذا كنت
 اعجب من كلامك وارتاب به لان الدهر لم يشهني مثله قبل هذه المرة
 فايدت مورين قولها بقولها - أرايت كيف ان الله ارسل لك من بحاكي
 ريكولات وغنيه كرمًا وجودًا
 فلما سمعت مدام دي هرفيل هذين الاسمين سالتها مدهوشة
 - هل لك معرفة قديمة بتينك الصيبتين
 - نعم يا سيدتي
 - كيف تم لك ذلك
 - ان غنية اصطفت عندي معروفًا لا انساه ابداً فانها انذتني من
 سرداب كنت افاقي فيه ووادي البرد والجوع وانزلتني في حجرة مفروشة حيث
 تداويت من كل ما كان بي
 - أليس لك حاجة عندي اقصيها
 - اخشى اذا بحثت لك بها ان اكلتك عسراً
 - لا تخشي امراً
 - ارجوك ان تطالبي الى صاحب المستشفى ان لا يشرح جسدي اذا قضيت
 بل ان يواريه في اللحد
 - ما لك وهذه الافكار فانت ما زلت غضة الشباب في زهرة العمر
 فلم الخوف والحديث فيما لا موضع له ومع ذلك فاني اعدك بانجاز مرامك
 - هات يا مولاني يدك فاقبلها شكراً عن جميل احسانك
 فبسطت كليانس يدها فقبلتها لورين هانفة لقد نالت السعادة وكل المني
 فاني اموت للان براحة وهناء . ثم استعملت المركيزة من العابدة حال لورين
 فاجابتها انها في خطر عظيم وقريباً تناجها المنون
 وغيب ذلك نهضت المركيزة والكونت سان رامي ومعها كلارة فغادروا

المسنفى فنزلت كلارة في دار المركبة الى حين الابلال وكانت قد كتمت عنها
خبر وفاة والدتها ثم عاجت بدار الطبيب لناخذ ماري فتقدمها الى روداف
ثم استأجرت محلاً مفروشاً في كردي سل فاحلت فيه اولاد جوليات وامرت
طبيبها الخاص ان يعي بها

الفصل الحادي والثلاثون

عود الامل

ففي صبيحة يوم من ايام الربيع وقد اكنست الارض وشاحاً سندسوا
اخذت ماري تمشي في حديقة الطبيب كريفون مستندة الى ساعد لوف
مسرحة النظر في بدائع تلك الخضراء وهي تقول ما احمل هذه الرياض بجلاها
- فاجابته لوف ان جمالها يحاكي جمالك

- اشكر الله يا اختي على شفائي وانقاذي من تلك الكلمة واطلب اليو
ان يمن علي بقاء الكونت سان رامي فاعلم منه ما كان من جواب الطبيب عن
سوالي بالكتابة الى جورج والحبيب رودلف . لاني ما زلت اخاف ان يخسبوا
موني حقيقة استناداً الى الاشاعة التي ارجفت بها عائلة مارسيال . اه ليتني يعمل
بالقدوم فيشفي نفسي ما تجد لكن بالله اخبريني ما السبب الذي من اجله
يرومون قتلي ترى هل حملوا على ذلك بطريق الخند والسعاية

- لاشك وقد صرحت بذلك والدة مارسيال الى ولدي في السجن

- هل ما زال يتردد اليها
 - نعم ولكن سيصدر الحكم على العائلة بالهلاك
 - رباها ما اشد هذا الحكم وما اوجعه فهل يقضي على العائلة كلها
 - الآلى نقولا فانه قد ازمع الفرار اثر رفيقو السككتون وقد بعث الى
 اخيه مارسيل يساله النجدة عند مكوفافاه اليها
 - يا اعظم حنانو ورأفتو
 - لكي لا ادعه يفعل ومعاذ الاخلاص ان يساعد من عمل على قتلي وقد
 وطننا الية على السفر من باريس فراراً من الشدة التي تضايق مارسيل
 - بالله انظري ريثما اقابل رودلف لاني بوعدى لك . فاننا ملتزمة
 لك بحياتي
 - انا لا اطالبك بشي عوجسي ان وفيت بما اطلبني به الانسانية والصدافة
 شكراً وثناً
 ولم يكن الا برهة حتى سمعت لالوف صوت عربية تجري على قرب منها
 فاسرعت السمع وما زال الصوت يدنو حتى رأت فتاة بدیعة المجال نتجه جهة
 الباب فصاحت هل عرفتها يا ماري
 - نعم هي فتاة عرفتها في سان لازار حيث عطفت علي ولا عطفة الام
 على ولدها
 - هل كانت تعلم بمنرك
 - اني اجهل ذلك (وهي الفتاة التي كلفت بحب ذاك البطل رودلف
 الذي تقدم ذكره في حديثنا)
 وبينما هما يتحدثان تقدم فرنسوا واماندين مسرعين الى لالوف يعلنان لها خبر
 قدوم سيدها مع فتاة حسنة الجملة لا عهد لها بها من قبل
 فقالت ماري - لند صدق ظني فاصبت الغرض
 ولم يكن برهة الا وقد وفد الكونت سان رامي ومدام دي هرفيل التي عندما

رأيت ماري اسرعت اليها بكل شوق ولهفة فعاتبتها قائلة لها
 - يا السعادي براك بعد ان شقيت زماناً باثني فيه من خبر ...
 - ان سعادتي اعظم برأي من كانت لدي ب مقام والدي
 - كم يسر اصدقاؤك عند ما تبلغهم بشرى حياتك

فعندئذ اخذت ماري لالوف بيدها وقالت لئن كان من يهتم في شأني
 ويحرص على حياتي فعليهم بمكافأة هذه العائلة المحسنة التي انتقذتني من شر الكهنة
 - لاريب ان كلهم يعترفون لها بالفضل ويقولون لديها بما لها من الجميل
 فاحمر وجه لالوف خجلاً وليثت واقفة لا تنبس بكلمة فاعترضتها المركيزة
 قائلة - يضيق بنا الزمان الان على ابضاح ما في النفس من الشكر لاحسانك
 وقد غلب علي الوجد فلا استطيع ان البث هنا طويلاً فاني اجمل الان ماري
 الى احبابها وارجوك ان تدفع الى السيدة لالوف المحسنة عنوان
 منزلي حتى اذا راق لديها وافتنا غدا اليه وهناك نفيض بذكر ما لها علينا
 فودعت ماري لالوف وسارت مع المركيزة في العربة الى باريس

.

وكان وقتئذ رودلف جالساً في غرفته كئيباً حزيباً ينتاطر الدموع من
 عينيه الى ان امضت جفنيه وإلى جانبه ولتر مورفي ذاك الخليل الامين الذي
 بعث بطلبه اليه عله يخفف ما في فؤاده من الاشجان والكروب . وكان هذا
 الصديق بسابه ويقويه على احتمال ما به قائلاً له

- مولاي عليك بالصبر فانه عدة الباسل ولا تطوح في الحزن فانه

آفة الحياة

- اه ايت لي ذلك على فقد ولدي العزيزة . سمحاً لتلك الغادرة الماكرة

التي جلبت الهم قلبي باعدام موضوع حيي

آه لو ابقيتها عندي فلم ارسلها الى مدام جورج لكنت كفيث نفسي مؤنة

العذاب وألم المصائب انا هو السبب نعم انا الشقي النعيس الذي عرضتها للهلاك
فلا بد ان اهجرباريس لان ليس لي طاقة على الاقامة فيها بعد فقد سر
قلبي وهنائو

- صدقت يا مولاي وهذا خبرك حرصاً على صحتك
فهي اذن غدا متاع السفر ولا بد ان نخرج على مزرعة بوكوفال
فادخل الى الغرفة التي اوت اليها ماري فاحمل منها ما تركت فيها من المتاع
الى جرمانيا حيث من عزمي ان اودعه قصرًا اشبهه خصوصاً تخليدًا لذكرها
ولما أراد مورفي ان يغير عزم مولاه اعتراضه قائلاً - هل اغنيت يا مولاي
وعدك لفرنسا وجرمن بان تكون غدا شاهداً على زواجه بريكولت
- نعم اني وعدت ولكن قد عرض لي دون انجاز الوعد امور ذات بال
فاسأله ان يعفني

- مولاي لا بأس اذا اجبت دعوته فعمسى ان يكون لك في تلك الحفلة
بعض السرور

- كلالا اطلب الفرح ولا اقتضي المسرة فاذهب غداً نائباً عني واسأل
مدام جورج ان تسلمك كل ما خصّ بماري فتبذره باسي الى جرمانيا
- هل تذهب يا مولاي قبل مقابلة دي هرفيل

فعند ذكر هذا الاسم ارتعد رودلف كالمتنبه من غفلة وقال كتبت اليها
امس انعي لها وفاة ولدي

وفي اثناء ذلك قرع الباب فنهض مورفي اليه فوقف برهة بالباب يتبادل
والطارق بعض الاشارات ثم عاد الى رودلف وقال

- آباء ذن لي مولاي ان الي دعوة من يطلب مقابلتي في امور مهمة
- اذهب

فما كاد مورفي يلي ظهره حتي صاح رودلف صيحة دوت منها ارجاء منزله
ثم حجب وجهه بكفيه وقال اسفاه لقد دفنت زهرة حياتي وفقدت سارة فغدا

قلبي غرضاً لعالمي الحزن والفرح
فما اثم رودلف هذه الشكوى حتى عاوده مورفي مكمد الوجه كئيماً . فقام
اليه الغراندوق وسأله - مورفي ما بالك حزينا وقد تبدلت الوانك
- لا شيء يقلقني ان العجب اثر في فأحال لوني
- مما عجبت

- من مدام دي هرفيل
- هل اصابها باس
- كلاً انما هي في الردة
- هل هي في منزلي الآن
- نعم وسأوضح لسموكم سبب عجي واندهالي
- بالله عجل بالايضاح
- لا اقو على ايضاح ما يتقسم نفسي من العجب والخبرة
- مورفي اتخفي عني امراً
- حاشا يا سيدي
- اذن قل لي ما دهاك وما ألم بك
- انها اشارت الي ان اكشف لسموكم رغبتي في مكاشفتكم سرّاً في منزلها

الخاص

- اني لم اتبين حتى الآن مراحي كلامك فقل لها ان تدخل
- لقد ابغنتك يا سيدي مراهما ونقلت اليك اشاراتها بالحرف الواحد
وهذا الغموض عينه قد اقلعتني . لكن قل لي مالي اراك منقبض الصدر حزينا
فلم يستطع مورفي ان يستطرد الحديث لفرط ماعراه من الكتابة فاعباً
فستط على الكرسي مجهوداً
- مولاي اراك وقد فعل فبك الاضطراب فعلاً لم اشعر به فما الداعي اليه
- لقد دنا يا مورفي اجلي فقل للمركبة ان تدخل

فراج مورفي يلبي امر مولاه وما كان إلا برهة حتى عاد اليه والمركيزة
تقدمه واذا كانت تجهول موضع ماري من رودلف كانت قد غادرتها في العربة
ولما رأت رودلف حزينا كاسف البال سألته

- ما بالك ايها الغراندوق على حال يلين لها الحجاد
- انني لم اعلم بموت ولدي ماري الا عقيب ان كتبت اليك المرة الاخيرة
فصرخت كليا ناس وقد ذهبت عن أمرها - ماذا تقول . أماري ولدك . .
- نعم ولدي نعم انا واندھا الشقي النعيس

فعندئذ جثت المركيزة على الارض تشكر الله الذي بسر لها ان تخدم
الغراندوق خدمة صادقة خلوصة فوفقها الى ان تبشر بميماة ولده . ثم صاحت
قائلة سرِّي عنك واخلع رداء الاحزان فان ماري في العربة
فما كاد رودلف يسمع هذه الالفاظ حتى نهض للحال يريد الخروج
فاعترضه مورفي قائلاً له

- لا تفعل يا مولاي فان ظهورك عليها بداهة بوذي بها
فعاد رودلف الى مكانه وقد صوّب رأْي مورفي فليث ساكن الجبنان
ينتظر اللقيا بمن بكأها مدة من الزمان . ثم التفت الى المركيزة وقال لها
- لا استطاع ان اقوم بشكرك فاعذر بني وتاكدي بانك قد قيدت لسانني
كما اسرت قلبي بحبيبتك واحسانك

- اعلم يا سيدي ان الناس للناس والدنيا مكافأة . فكما انك انتدت
والدي وضمت لي حياثة هكذا اراد الله فيسر لي ان انتد ولدك وبذلك
أكون قد وفيت بما لك عليّ

- بالله كيف توفقت الى خلاصها
- ان امرأة باسلة انتدتها من الغرق
- هل لك معرفة بها
- غداً اقابها في منزلي

- آه يا لله من جميل عظيم آني لي ان آني بو حتى الوفاء
 - شكرت الله الذي الهني على القدوم منفردة ولولا اني اصعبت ماري معي
 لكان نالها ما ضيع آمالي وخيب امانيك
 - فاذهب اذن الآن يا مورفي واحضرها اليّ
 - مولاي هل تترى على مقابلتها وقد برّح بك الحزن الشديد
 - لا صبر لي على البعد منها وهي بالقرب مني فاذهب عجباً يا مورفي
 وافض بما انا عنه راض
 - فما قول للسائق
 - ان رودلف يريد ان يرى هذه الفتاة
 - فلم يبرح مورفي من مكانه وهو يذرف الدمع خيفة عاقبة اللناء
 - فصاحت كليانس ما بالك جامداً لا نسعي
 - لا اعلم يا سيدتي بما ينعدني عن اجراء هذه المهمة
 فقال له رودلف - مورفي عجل والا لقيت مني ما يسوءك
 - فتمهض مورفي وانصرف الى الطريق حيث وقفت العربية بهاري وخلا
 للركيزة وجه رودلف فاضطربت لوجودها وحدها في دار الغراندوق
 فانتهمز رودلف هذه الفرصة ليناجيها بما يسره قلبه من حبها فباح لها بالشكوى
 قائلاً - اشكر الله الذي قبض لي من جوده ان اتنعم براك لوجدني فابشك وجدي
 وهيامي وقد كنت اناحي نفسي من قبل بالسبب الذي اصل به اليك فلم افز
 بالمرام الى ان كان لك ان تقدمي بين يدي سبباً ما مثله من سبب فاني انتقدت
 ولدي وكلمت لي حيايتها فالرجاء اذن الآن ان تقبلي ما اقترحه عليك وهو
 ان تقوم لدي بها بمقام الوالدة وباوضح فقال ان تكوني امها
 - فاضطربت مدام دي هرفيل من هذا الطالب وقالت وقد صبغت وجهها
 وردة الخجل - ماذا نقول
 - افول ان لا تنجي سولي

ولما كانت كليمانس تجد وجد رودلف وعندها من حب ما عنده فكرت
برهة ثم قالت - مولاي اعذرني اذا آبيت قبول هذه النعمة الكبرى لبعدي
النسب بيننا

- وهل من نسب اقوى من اتصال الفلدين باسباب قوية فاسمعي لي ان
ادعوك حليتي وما هو لي فهو لك وما لك فهو لي فانتي ام ولدي وانا والد
ولدك كلارا

- فصاحت كليمانس ٠٠٠ آه يا سيدي ٠٠٠ ان التي تنتظر مقابلتها
في ولدك

- بالله لا تخبي طلبي وهبيني تمام الرضى
وفي تلك الاثناء فتح الباب ودخل مورفي ماسكاً بيد ماري فقامت للحال
مدام دي هرفيل اليها فاخذت بيدها وقدمتها الى رودلف الذي كان وقتئذ
مستنداً الى الطاولة لا يدي حراكاً . فعقب ان اوصل مورفي الفتاة الى الغرفة
توارى في الحجاب ليكفي نسبه اللهب عند هذه المناقبة

فعندما مثلت ماري امام كفيلها رودلف (وهي لا تعلم انه والدها)
اخذتها الرعدة فصاحت بها كليمانس تشبهي ولا تخافي فان هذا الرجل هو وليك
وكفيل امرك

فاجاب رودلف وفواده بقطع من اللهفة - نعم اما هو كفيلك ووليك
ثم اخذتها مدام دي هرفيل واجلستها على الكرسي وأشارت الى الغراندوق
ان يجلس الى جانبها . فلم تستطع الفتاة ان تبدي مقالاً فايتهدها رودلف بهذا
الخطاب - الحمد لله الذي اعادك الينا سالمة من كل مضرة ووقاك شر الزمان
وغدرة فاقبي منذ الآن عندنا والمقام كريم فلا عدت تنصايين عنا وانسي ما لقيت
من الماضي ونوائبه . واشكري الله على عطاياه ومواهبه

فقالت كليمانس - نعم وهي الطريقة المثلى التي تبرهنين بها عن حبك لنا
آه يا سادتي ان لي في سر الماضي سلوى ما عشت لاناها فقد كانت لي

سبباً وصلني بكما ومتعني بحبكما ولولا انكما اغثتما لهفتي واشفيتما غصتي لكنت الآن
اشقى من (بودوين)

فاعترضها روداف بقوله خلي عنك كل هذه الافكار «يا ماري» واذكري
اذ دعوتك بهذا الاسم في تلك المزرعة

- لم اجهل ذلك ولكن ارجوك ان تعلميني بحال مدام جورج التي لدي
مقام والدتي

= انها بكل راحة وسلام اما انا الآن فعندي اخبار مهمة اريد ان اطالعك
عليها

- ما هي

= اني اكتشفت على صك ولادتك

- وما الغرض منه

= عنه عرفت والدك

وما كاد روداف يتم هذا الكلام حتى ابتدر الدمع من عينيه فحول
وجهه عنها فسمع جفنيو ثم عاد اليها وكان مورفي ايضا يبكي وراء سحج النافذة
المطلّة على الحديقة لان ذاك المشهد كان قد اثار فيه تأثيراً عظيماً

فعندئذ كشفت لها كليمانس السر فقالت لها = نعم ان والدك لم يزل حياً
- آني حي هو

= نعم وستريته قريباً وهو كريم النسب والحسب

- وهل يكون لي ان أرى والدتي ايضا

- اني اترك لوالدك الجواب عن سؤالك فاخبريني الان انسرني بروءياه

- اه وهل انت في ريب من فرط شوقي اليه

فاستأنف البرنس حديثه فقال - انه يهد لك سبيلاً للعيش الرغد

فقالت ماري - هي عيشة ما ذقت طعمها من يوم انفذتني وارسلتني الى

بوكونفال

- لا بأس فان والدك يعوض عليك ما فقدته من اسباب الراحة ويسليك
عن ماضيك

- لا معرفة لي بـ وكل اعتمادي عليك وشكري اليك

- فعليه ان يحبك لي هي محبة الوالد لولده

- نعم ولا غرو فقد اصطفت عني معروفاً لانها مدي الدهر

- أأكون لديك مكان ايك من قلبك

- قلت لك يا مولاي انني لم أعرف والدي وقد اسرني بحبيلك فكنت لي

عونا حين الشدة وماذا يوم طاردتني المصائب والحدنان . واذ كان والدي كما

ابانت مولائي كريم النسب فلا ريب انه يأبى ان يدعوني ولده فينكرني

فاعترضها رودلف قائلاً - كلاً انك تميت في الحكم عليه وبقيني انه

يرقيك الى اسنى درجات المجد والكرامة فتصعبون بظالم اسنى كريمات الامراء

والاعيان

فصاحت كليانس ومورفي - بلطفك يا ربي وجودك نسمعين

ولم يمالك رودلف ان باح بسرهِ فقال لماري - ما اني قد ديات لك

حياة سعيدة فانهي وسري انا والدك ثم ارتقى على ولده واخذ ينفها بكل لطف

واشتباقي

فصاحت ماري وهي في ذهول ما سمعت ورأت . أأنت والدي ولما لم

يسعها اكمال الكلام سقطت مغشياً عليها

فخرج مورفي للحال يرسل من يستدعي الطبيب داود

وفي ذاك الوقت جثا رودلف امام ولده واخذ يصعد الزفرات

ويقول نبأ لي انا التعميس الشقي لقد قتلت ولدي بيدي . ولدي ماري لا تلومي

والداً باح لك بحبه وكشف لك اسرار قلبه

فاخذت كليانس تسكن روعه وتسلمه قائلة له - خنض عليك فانها لم

تمت وانظر الى ورد خديها فانه لم يزل زاهراً وما اظنها الا في ذهول

وبيناها على هذه الحال دخل الطبيب داود ويده الدواء وورقة دفعها
الى مورفي

فلما رآه رودلف، صاح به مستنجراً: ايها الطبيب نج وادي
فبادر الطبيب الى معالجة الفتاة وبعد ان فحصها جيداً قال للفراندوق
- لا باس عليها يا مولاي فانها مغمياً عليها وعن قريب تشفى
- أحقيق ما تقول انها تشفى

وكان مورفي قد قرأ ما تضمنت تلك الورقة التي دفعها اليه الطبيب
فاحدق الى رودلف وقال

- قد كذب في الخبر الذي ارجئه بالامس

- ماذا نقول

- ان الكونتس لم تمت بل كان قد اغي عليها البارحة
وعقب ان فرغ داود الطبيب من معالجته قال من الراي ان تنقلوا الابنة
الى الحديقة حيث تستنشق الهواء الصافي فتطيب
فاسرع للحال مورفي الى انجاز الامر فحمل الفتاة على الكرسي الى الحديقة
مغادراً الفراندوق والمركيزة في خلوة



وعقب ان خرج مورفي والطبيب من الغرفة ابتدر رودلف المركيزة
بهذا الكلام - ألا تعلمين ان سارة ماكر كوار هي ام هذه الابنة

- هل هي امها حقيقة

- نعم ان هذه المرأة كانت قد كانت بي منذ الصغر فعندت عليها في قرية
حقيرة ولكن ما لبث ان انحل هذا العقد فذهبت وتزوجت برجل آخر فكانت
سبباً لتعاسة ولدها وولدي ماري

لقد ادركت الان سر هذه الحادثة وقد نصبت لك الحبايل لتأخذك بها

يا لها من داهية • ولكن لا تبال فان المهام التي تقدم عليها تستلزم منك
الحزم واشكر الله الذي اوقف الامور عند هذا الحد ليتيسر لك ان تثبت لك
ولادة ماري

- لا حاجة لي الى ذلك وسامعها من مقابلة ولدها

- اياك ان تفعل هذا الامر

- لو دريت بما تستقبلين من السعادة اذا رضيت ان تكوني امّا لماري

- خلّ عنك ما كان وانسّ عاديّات الزمان

- انا بئين الاقتران بي

- كلاً فان حبي لك غدا ثابتاً واضحاً غير ان اموراً تحول دون مرامنا

فلا يسعني الآن مقاومتها واملي ان تبقى على عهدك معي فتكتب اليّ حيناً بعد حين

عما يكون من امر ماري واذا شئت ان اصير معك الى جرمانيا فانا اليك بيداً

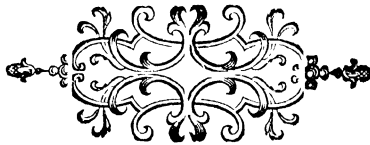
انني اخشى اني اكون سبباً لتكدير صفاء عيشك

وفي هذه الاثناء دخل مورفي وقال لقد افأقت الابنة من غفلتها واول

حديث حدثني به استعلام حال والدتها

وعقب ذلك انصرفت المركيزة لشاغلها وقام مورفي والبارون دي كراين

ورودلف الى منزل الكونتس سارة ماكر كوار



الفصل الثاني والثلاثون

الزواج

ان توماس الذي عهد اليه ان يبلغ ساره بشرى وجود ولدها في قيد الحياة كان قد دخل عليها فالفها جالسة على الكرسي وقد آكد وجهها من الهم ومش جسمها الضئيل من الالم الذي ألم بها اثر الطعنة التي بادرتها بها اليومة وكان رودلف قد اجتمع بهورفي ودي كراين والكاهن في الغرفة كسر غرفة ساره قصد ان يثبتوا صك ولادة ماري وقد اقاموا الدوش دي ليميني ودوكلاس شاهد بين عليها

فلما وقف توماس بنادي اخيه قال لها - لقد حملت اليك خبراً في نشره

الموت والحياة

- عما يكون .

- عن ولدك

- ليس لي ولد ارجو حيائه

- بلى

- كيف يكون ذلك وقد مات فبالله لا تجدد احزاني

- انها لم تزل حية تخطر في الارض

- هل ولدي لم تزل حية

- نعم وقد جئتكم الخبر اليقين وها ان البرنس والكاهن وغيرها من

الأصدقاء قد اجتمعوا هنا في جيزتك لتثبيت الأمر فمذ الآن تدعين ملكة
 فعند ما سمعت ساره هذا الكلام ذهلت عن الوجود فلبثت برهة دون
 حراك فارتاع توماس من مراها على هذا الحال فقال لها
 — ما اعتراك يا اخناه

— ان شدة الفرج قد اخذت بروعي . آه ترى هل يصح مفالك فتتحقق
 آمالي بعد الياس

— ما قلت إلا الحق فلا تخاري واخبريني هل تحبين ولدك
 — لا ريب في مزيد حبي . لقد طابت الآن نفسي وطال عمري فابن
 موضع البرنس لهذا الوقت

— أريد ان اراه قبل حفلة الأكليل ولا بد ان تكون الابنة ابدية
 — لن ننظر بها

— بالله ارجوك ان تدعو البرنس الي
 ففصل توماس عن شقيقته وغادر باب الغرفة مفتوحاً
 فقالت ساره في نفسها — لقد تكللت امالي بالنجاح ووفني الله بيمينه الى ان
 ارى وادي . وبينما كانت تناجي نفسها بهذه الاماني دخل عليها رودلف
 وقال لها

— هل بلغك اخوك الخبر
 — نعم يا سيدي وقد جلا به عن فتادي الغم والكدر
 — لقد جاء الكاهن والشهود وهم في موقف الانتظار
 — عرفت ذلك لكن ارجوك ان تسمح لي بكلمة ابدية لك
 — ما هي

— مولاي ارغب في مقابلة ولدي
 — لا يسعني اجابة سوء لك للحال
 — لا نخب رجائي

— يتعذر عليّ ان اقبل بها عليك لان السمّ قد فعل فيها فاخاف ان
يبادها من مقابلتك ما يزيد اعلاها

— رحماك لا تحرمني من هذه النعمة الكبرى

— لا تلجئ ياساره في طلب ما نحصلين عليه وقد تحقّق الآن بهو مقامك
اذ تصبّحن ملكة بالقرب مني

— مولاي لا رغبة لي في السمّ قبل ان افوز باميتي . فان تجرمني منها
حرمك من يدي وغادرت الابنة حيث هي مجهولة النسب

— فاسمحي اذن ان ابعث بطلبها من منزلي

— فدونك الفلم والقرطاس واكتب الرسالة وانفذها للخال

فاخذ رودلف لوقته بكتابة الرسالة . ولما فرغ منها نهض وقال — ها انا
انفذها عجباً اليها ثم اعود بالكاهن والشهود لعقد الزواج

— مالك والذهاب بنفسك فاليك الجرس فاقرعه بأنك الخادم فسلّمه

الرسالة والبيت عندي الى ان يوافيك بالجواب

ففعل رودلف وفق الاشارة فمثل لديه الخادم فاوعز اليه ان يدعوا مورفي
فلم يامر ولما جاء اليه مورفي دفع اليه الرسالة وبلغه ان يفهم الكولونل ان
يأتيه بماري على العربية وان يتقدم بالكاهن والشهود الى الغرفة المجاورة

ولما خلا وجه رودلف لسارة صاحبت رباه اعطيني قوة لا اري وحيدتي
فقال لها رودلف — أما كان الالقي بك ان تسيري من قبل معها ميرة
الام الشفوقة

— آه لقد اخطأت وعرفت ذنبي وقد قدر لي الله ان اشاهدها فانبئت

نسبها واموت عنها راضية

— مالك وذكر الموت

— لا انطق الا بما اشعر به وقد دننا الاجل بعد تخفّتي الامل . فهات

يدك يا رودلف فاقبلها

فبسط اليها الامير يده وقال ما بال يدك تلجئة ماذا اصابك
 -- قلت لك اني على حد اللحد فسامعني واصفح عما كان مني ولا تذكر لولدي
 شيئاً من افعالي بل اطبع في قوادحها حي وسلمها قلبي كما تسلمته الان تائباً
 - اني لا اذكرها ابداً ما يوجب النفار واجعل ماضيك لديها سرّاً في
 جملة الاسرار

- هذا املي الوحيد فجد لي اذن بالرضى واصفح عن هفواني كما صفحت
 عنك بسيرتك معي

- اني ستريت عيوبك وغفرت ذنوبك
 - فادع الكاهن والشهود يقيمون هنا الى ان امتلك شيئاً من الراحة ثم اقوم
 بما تأمر

فقام رودلف واحضر الكاهن والشهود وعقيب ان سكن روع ساره
 قليلاً كتبت العقد ووقعه الامير والكاهن والشهود بعد تبادل الزوجان الرضى
 بحضور الكاهن ثم انصرفوا جميعهم وقام الكاهن بإشارة من رودلف في الغرفة
 المجاورة

فمعدئذ عاود ساره الالم والضعف فصاحت = "أراني على شفير الهاوية
 وقد دنا اجلي قبل ان احظى برأى ولدي

- فاجابها الامير تشبعي يا ساره ولا تقنطي من رحمة الله
 - لقد خاب الرجاء ولم يبق لي في الحياة ملجأ

- ساره ها اني اسمع صوت العربية التي نقل ماري قد دوى في فناء انقصر
 فنقوي وانمضي الى لقبها

- لقد خارت عزائي وضعفت قوتي فالرجاء بارودلف ان تكتم عنها امري
 ونصون سري . واذ لم يبق لي أمل بمراها فادعك الان واكفك ان تودعها
 عني لان الموت قد دنا مني . فإنت هذا الكلام حتى غارت عينها ساره وشحب
 وجهها وثلج جسمها . وفي هذه الاثناء دخل مور في يعلن للامير قدوم ولده فاشار

اليو رودلف لن يبقها خارجاً وان يدعو الكاهن اليه لان سارة تتنازع ووحها
المنية . فلم يكد يفصل عنهم انضاء ما عهد اليه حتى قبضت روح الكونتس

الفصل الثالث والثلاثون

البارستان

اننا نقبل بالفارسي عقيب ان شاهد ما كان من امر برودلف مع
سارة ما كركوار على البارستان فنقف معاً عنده وكان بناء عظيم قد تألف من
طبقتين ففي الطابق السفلي حجن على مدام مارسيال ولدها اقلين المحكوم عليهما
بالاعدام في الغدو معهم ايضاً السككتون ونولا مارسيال وبعض المسجونين
الذين امعنوا في الفرار من لافورس فاتفق ان وصولنا اليه واقبالنا عليه كان
نحو الظهر فلما اذنت الساعة الحادية عشرة سمع صوت عربتين قد وقفتا في فناء
البارستان وكان في الاولى مدام جورج وريكولت وفرنسوا جرمن وفي
الثانية آليس مورل والدتها

فلما باغوا الى كن البواب ابتدرها هذا الرجل بالسؤال عن شانهم
فاجابوه - اننا جئنا لزيارة مصاب

- فابقوا اذن هنا ربنا اعلن قدمكم الى الرئيس

فتقدمت حينئذ مدام جورج آخذة بيد مدام مورل وفي اثرها وريكولت
وآليس وجرمن يتبادلون الحديث فقالت ريكولت موجهة الخطاب الى آليس

- ما اسمعني بمرآك يا عزيزي بعد تغيب خائني فيه الزمان فاقعدني عن وفاء ما كانت تحدثني به نفسي كل يوم

- لا أشك بخلوصك يا ريكولت وعندي من بينات وفائك ما يغنيك عن الاعتذار

- لم تدعوني بريكولت وقد وفقني الله الى الاقتران بجرمن ألم يبلغك الخبر

- نعم وقد دعوت لك بالهناء وخصب العيش

- لكن فأتك ان تعرفي امرًا هو أهم لديك من كل ما تذكرين

- فما هو

- ألا تذكرين جيل الشخص الذي كان سببًا لنجاتكما

- كيف انساه وذكره أليف فكري وحليف صدري كل ساعة. لكن

وأسفاه اذا خابت امال الطبيب

- لا ينقضي من رحمة الله فأنه سيفوز بما لجوئنا ما هو حاذق ما هو

- افوض امري للاله فأنه بصير باحوال الجميع واعلم

- احسنت ولكن انعرفين الموسيورودلف

- أما هو مليح المسكين ونهضة الدليل وشفاء العليل

- هذا امر مشهور انما اريد ان اسألك نعمة الخاص فان كنت تجهلينه

فانا ابينه لك بكل وضوح ولكن اخبرني مالي لا أرى الفرد ببيلت وامرأته بيننا

وقد كان من الواجب ان يقفا معنا في هذا الموقف حسب اشارة الطبيب

- انهم سيأتون قريبًا

- بشراك اذن بخلاص والدك آه لو كنت تعلمين ما شمل فؤادي من

الفرح والسرور عندما نجوت بجرمن من سجن لافورس فاسمعي القصة واطربي

انني عقيب ان فصلت به عن موضع الشفاء الى حجرتي فما جلست فيها برهة الا

وسمعت الباب بطرق ففتت اليه فاذا هو رسول من قبل رودلف جاءني

بكتاب منه ففضضته وقرأته فاذا هو يتضمن هذه العبارة « اسرع بجرمن الى

مزرعة بوكوفال « فليت الامر سريعاً فاستأجرنا عربية وسرنا الى المحل المقصود
ولكن من بصف فرحي عند وصولي اليه وعلي ان مدام جورج صاحبة تلك
المزرعة هي ام فرنسوا جرمن
- آهي والدته

- نعم
- ولم كان قائماً بعيداً منها غريباً عنها
- لانه كان يجهمها لاسباب وهي ان والده تيب امه وهو بعد صبي لم
يبلغ السادسة فنشأ بعيداً من حجرها الى هذه الساعة
- ما كان اشد سرورها عند لقاءه

- انها احسنت استقبالنا واكرمت مثوانا فاقمت عندها زماناً قطفنا فيه
ورود الحظ من جنات الهنا الى ان نقرر يوم الزفاف في مساء ذلك اليوم جاءنا
رسول من رودلف وقد حمل الينا الهدايا النفيسة والطرف النادرة والمال
الجزيل مع كتاب كان مظهر فرحه وارتياحه الى هذا الاجتماع الحبي ثم اعلن له فيه
انه قد اقامه رئيساً على مصرف الفقراء فشكرت الرسول وفضل مرسله فرددت
له الكتاب يفيض بالثناء على احسانه وكرمه وطالبته فيه بانجاز وعده في حضور
حفلة الثناء . اه لو كنت تعلمين بمقام هذا الانسان ومنزله بين اعيان الزمان
- لا ريب انه من اسي رجاله مقاماً وافرهم مالا

- انه امير ملكي

- ما نقولين

- نعم امير جبرلوستين

- فمن اين تعلمين ذلك

- ان فرنسوا اخبرني به

- ما هذا الخبر

- وقد صدقة الخبر بما شاهدناه يوم زرناه في قصره في شارع بلومت

وهناك كانت الجند والاعيان تحف به من كل جانب فصادفت عنده كل
أكرام وقد فهمت من حديثه ان من عزمه السفر الى جرمانيا .

- آه يا النعاسي وشقائي

- لم هذا الاسف وانت اسعد الناس مالا

- هذا كلام لا يشفي ما بي من الهم

- دعي الاسف والالف الآن فها ان يبيلت ومدامته قد اقبلا فعسى ان

يكون لنا بقدمها النجاح

- على الله انكالي وهولي نعم المولى ونعم النصير

وكان الفرد لباساً قبيحة كبيرة واسعة الاطراف مشتملاً برداء اسود والى

جانبه انسطاس تجر ذيل ثوب من الصوف الناعم

اما الفرد فكان قد اعياه الجدى واجهده المسير فحالما رأى جرمن وريكولت

بادر اليهما وصاح بشرا كما لقد ذهب

فعاثته ريكولت ما تعني بذلك

- علي ان اقدم لكما فروض التهانى

فاعترضته ريكولت وقاطعته الكلام قائلة

- ما معنى قولك ذهب

- اني اشير الى كبرون ذلك الخبيث

- اأنت على يقين من هذا الخبر

- نعم وقد رأيته مزايلاً فرنسا على قصد الشغوص الى استراسبورج

وبينما كان الفرد يتحدث بهذا الكلام جاءت انسطاس امرأته وقالت

- لا شك ان الفرد يتكلم عن سفر كبرون

- نعم

- لا يزال ابداً يردد ذكره

- ومن كان السبب في سفره

.. الشهم رودلف فضلاً عن ذلك انه اقامه بواباً لمصرف الفقراء

- لله دره من جواد كريم وقد اقام جرمن رئيساً عليه

- فعليه سنعيش في هناء ورغد

- من الذي نقل اليك تلك البشرى

- اذ كان الفرد جالساً ذات يوم في غرفته يعمل في صنعته وفد عليه رجل

طويل القامة فاخبره بسفره الى استراسبورج حيث يقيم ابداً وقد كان السبب في

ذلك سعي رجل كريم ثم دفع اليه الجواز تأكيداً للرواية . فلما سمع الفرد الخبر

استطير لبه فرحاً وشكر الله على خلاصه من مكائد هذا الرجيم

فقال له ريكولت - هنيئاً لك يا صاح فقد بلغت المراد واسمع الان

ايضاً خبراً يزيد سرورك وينعم بالك

- هات ما عندك من اثار الخبر

- هل عرفت بتمام رودلف

- كلاً

- ان هذا الرجل لملك عظيم

فصاحت انسطاس مدهوشة - أحنق ما يتحدثين

- هو الحق لا ريب فيه

وفي تلك الاثناء رجعت مدام جورج تعلن قدوم الطبيب



الفصل الرابع والثلاثون

نزلاء البارستان الاستاذ ومورل

ان الطبيب هرين كان قوي البنية رحب الصدر ذائع الصيت أحرز في فن الطب شهرةً ضربت على شهرة أقرانه لا يمل من اصطناع المعروف وخدمة المعوزين فلما دنا من مدام جورج ابتدرته بهذا الكلام

- أسألك العذر ايها الطبيب عن قدومي اليك في ساعة توفرت فيها الاعمال لديك ولكن من كانت قلبه كفيلك مطبوعاً على حب خير الانسانية لا يأتي ان يرى الناس حوله وقد جمعهم الغاية التي من اجلها سميت وتسمى الآ وهي الاحسان فندأتك راغبة في الوقوف على احوال مورل - لا ريب ان في اجتماعكم هذا اثراً حسناً في صحة العليل

فقالت امرأة مورل - اعلم ياسيدي ان هذه الكريمة (مشيرة الى ريكولت) كانت سلموني في انقطاعي عن زوجي بل غوثي وعصدي

ثم قالت أليس - وهذا الرجل (اي جرمن) كان لنا عوناً على البأساء وشريكاً في ملافاة البلاء ثم نظرت الى البواب والبوابة واثبتت على جملتها بحضرة الطبيب على انها لم يغفلا اصلاً مساعدتها وموالايتها

فقال الطبيب موجهاً الكلام الى مدام جورج - اذا كان مشهد المعتوهين لا يزعجك فتقدمي معي لنفص المحل الذي نزل فيه مورل فدخل جميعهم اثر

الطيب يخطون المبات الغاصة بالمصايين الى ان بلغوا وسط الطريق فوقفت
مدام جورج من الذعر والرعب ففوها الطيب بحديثه فاستأنفت المسير مارة
بالمصايين على اختلاف اجناسهم وما زالوا على هذه الحال الى ان عارض الطيب
شخص ضخيم الجثة فحياه بكل سكينه وشكا اليه ما يعانيه من جفاء رجل اعى قائم
الى جانيه فسكن روعه الطيب وطيب خاطره ونقدم بين معه اليه ولما وقفوا به
سالته مدام جورج - ومن يكون هذا الاعى

- ان لهذا الرجل قصة غريبة جدية بالذكر . جيء بهذا الرجل من
حانة في جوار الشانزليزه حيث التي الفبض عليه في جملة من كان يأوى الى
تلك الحانة من الاشقياء . فمئذ دخل البارستان الى اليوم لم يبه بكلمة فلا علم
اذا كان حقيقة ابكم امر كان ذلك منه حيلة وقد قتل عجوزاً تدعى البومة في
سرداب مظلم فسبق الى هذا المكان اذ تبين من حالوانه لم يفعل ذلك الا عن
اختلاط عقله

فتقدم اليه جرمن ليتأمله وقال بصوت منخفض - يا لشقاء هذا الرجل اني
اناثر له

فاجابته والدته - صدقت يا ولدي ان مره بضر القلب حزناً عليه
فما كادت مدام جورج تتم الكلام حتى اجفل الاعى فقام منتصباً فارناعت
مدام جورج واجمجت فقال لما جرمن

- ما دهاك يا اماء ما اعتراك

- لا شيء لكنني اسفت لقدومي معك

- لا موجب للاسف

اما الطيب فانه تقدم الى الاستاذ واخذ بلاطه فلم ينجح لان الاعى لم
يستطع صبراً على السكوت عند سماعه صوت ولده مراراً

فزاد تأثر مدام جورج واكد وجهها فأوى الطيب لحالها فاخذ بيد شارل
احد المصايين واجلسه الى جانب الاستاذ بدلاً من اخر كان يصم الاذان

بدوي صوته مكرراً هذه العبارة « عند اصل الدغلة » وأشار الى من كان معه
ان يتقدموا الى موضع مورل قائلاً . اسأل الله ان يبلغني الاماني ويحقق
رجاك اينها السيدة الكريمة

وبينا هما في الطريق سالت مدام جورج الطبيب عن سبب جنون مورل
فاجابها - بظن من عجز مورل المالي وتعرض ولده أليس من جراء ذلك
الى سوء معاملة جاك فرأند

فما طرق هذا الاسم اذن مدام جورج حتى صاحبت سحناً له من غادر ماكر
نال ولدي منه شرّاً تنبوعه السماع لاسيما ما اجراه اخيراً مع أليس تلك الفتاة
المسكينة

- لقد علمت بكل اعماله واذ بلغنا الآن المحل المنصود طلب اليهم ان
ينظروه برهة ثم خاطب أليس قائلاً

- انك تدخلين اولاً ثم يتبعك الآخرون

فاجابته أليس - بالله لا اقوى على الوقوف امامه وقد خارت قواي وانحط
عزمي . واخاف يا سيدي ان يحبط مسعاك فيغيب املك بشقائق هذه الحبة
- لا لا كوني براحة من هذا القليل واملي بالله ان تحقق الآمال

فدخل الطبيب ماوي مورل فراه يتنشي في المجال مردداً هذه الكلمات
١٢٠٠ فرنك أرش أليس فثبت واقفاً ينتهز فرصة سكوتها فلما بهت مورل تقدم
الطبيب الى الطاولة فالتقى عليها صرة دراهم قائلاً - هاك بدل انعابك فاسرع
مورل اليها فقبض على الصرة وتوجه نحو الباب فنادى الطبيب بأليس فاسرعت
للمجال اليه ولما مثلت امام والدها التي عنه الدرهم ورفع الحاظه ويديه الى السماء
ولبت صامتاً *

فقبضت فريضة أليس واجهشت للبكاء فاشار لها الطبيب ان تخفي لوعتها
ايما مورل فكان جامداً شاخصاً بما حوله فتقدمت اخبراً أليس اليه وارتمت
عابو وعانقته . فارتد مورل عنها فرقاً وقال

- من المائل امامي . آني بنظرة ما ارى امر في منامي ... من جاء بهذا
الى هنا ... اطيف آليس بلوح قدامي ... نعم قد جاء بواخذني بما ارتكبت
من التقصير في مساعدة ولدي

فصاحت آليس - ابي انا ولدك كما رأيت بالعيان لا بالاثر
فما كادت ثم آليس هذه الكلمات حتى دخل كل من كان معها فارناع
مورل عند مرآهم فقال
- بالله اصدقوني الخبر ... ابن انا الان ... آليس أأنت ولدي
كما ندعين

- نعم نعم ولست ادعي بذلك بل هو حقيقة واضحة
- كيف اصدق الخبر وقد سافوك امامي الى السجن
- نجوت منه بعون الله وامره

- وما جري لفراند

- مات لا اسفًا عليه

- اه لقد عادت روحي الي . لكن اخبروني ابن انا الان
فاجابة الطبيب اتينا بك الى الجبال ترويحًا لنفسك من وطأة الحى
التي اصابتك

- ما هذا المبيت والى من ...

- هذا منزل صديقك رودلف

ثم امر الطبيب جرمن ان يأتي بالعربة الى ناحية منقطعة عن البارستان
ليجيب عن عبون مورل مرأى المصابين قبلتوي عليه الأمر

فسالته مدام جورج - هل نال الشفاء تمامًا

- لم ينزل بشكواثرًا من مصابه واملي ان يزول الباعث تمامًا فعلي
بشفائه بعد الاتكال على الله فاني اعوده مرارًا ادعاءً لأمير جبرلوسنين
الذي اوصاني به

فشكرته مدام جورج وانصرفت مع ولدها ومن كان معها عن المكان

.

فلما فرغ الطيب من مقابلة زائريه عاد الى الردهة فقابل فيها احد امراء
العساكر وقال له - أتيتُ اليك قصد مكاشفتك بما عندي من الاخبار
- ما شأنك

علمت بما كان من امر تلك المرأة وابنها اللذين كانا نازلين عندي وقد
حكم عليهما بالاعدام
- أليست هي امرأة مارسيل الشقي المعروف
- بلى

- فلا غرو اذن اذا حذت حذو زوجها . وما عندك غير هذا من خبر
- انها كانت قد طلبت ان تنفرد مع ابنتها في محل واحد فابيع لها ذلك
ولما جاءها الكاهن تصدّت له بما يس حرمة
- لا ريب انها في ضلال

- لو راجعت النظر في تاريخ هذه العائلة لرأيت ان كل اعضائها قدموا
شققاً الى مارسيل واخوه وشقيقتيه وفي كل سبعين اتر من ثعبه . وقد ركن
نقولا اخيراً الى الزرار فاقصصت الحكمة اثره فطيرت الرسائل البرقية في
ارباض فرنسا وبشت الشرط في احيائها الى ان تهتدي اليه وما علمت ايضاً
ان الام قد ارسلت تستدعي مارسيل لتراه قبل ان تدركها الوفاة فهل ترغب
في شهود ذلك

- كلاً فان مثل هذه المشاهد تذيب قلبي ومع ذلك هل اتخذوا موعداً
- نعم وقد سموا الساعة السابعة الملتقى في ساحة سان جاك حيث يتألب
الناس لحضور هذا المشهد المجمع لا سيما وقد اتفق ان ذاك اليوم المعين كان

موسماً يحفل الناس به في التترة خارجاً

.....

ولما كانت الساعة الرابعة ليلاً من الغد احدثت شذمة من الجند بالموضع الذي حلت فيه مدام مارسيل وابنتها افلين الموضع الذي نفث بالفارسي عندة لنودع معاً احدي نساء هذه الرواية

الفصل الخامس والثلاثون

الحكم في الاعدام

كنا قد منا ان البارستان قد تالف من طبقتين عالياً وسفلى فالى هذه الطبقة الثانية كان ياوي مدام مارسيل وابنتها حيث كان ينتظران الموت بوجه طلق وكان على باب الغرفة خفيراً قد وخط الشيب راسه يخفر المكان ليلاً نهراً. وقد كان السكوت شاملاً في تلك الناحية لا يسمع فيها صوت الى ان دعت افلين الخفير وطلبت اليه ان يا تيها بكاس ماء فيفيض الجندي مليها طلبها . ثم مالت كم الساعة الآن

- انها نحو الرابعة

فضحكت افلين وقالت - بقي لنا من العمر ثلاث

فهرت الارملة اكتافها فسالتها الابنة

- ما شأنك يا اماء ألا تشعرين بوهن

- كلاً

- لقد نأكدت ذلك من وجهك فانه لم يتحول بل انت الآن كما كنت

قبلاً في جزيرتنا يارعى الله انس تلك الليالي

- صه

- ولم الانصات ألا يجب ان تدبر ذكر ايام الصبا والاقوات التي مرّت

بنا كالحبا لم يبق لنا من العمر الا ثلاث ساعات

- اضربي عن هذه الافكار

- فالعمل يا اماء ان اعرض عرضك بالشجاعة والبأس . فبما ليتني أطعمت

الكاهن ونصديت اشارتك

- لقد مضى الزمان وفات فبهات ان ينفع الندم هيهات

- اماء اني لا اعجب من شجاعتك عند ملاقات المنيون فما اني ارتعد فرقا

عند سماع ذنوا الاجل

- اننا بعد ثلاث ساعات نلاقي مارسبال فتشجعي ولا تضطربي

فاعترض الجندي على كلام الام قائلاً - خلي عنك مواخذة ولدك فليست

باشجع من عظماء الرجال الذين نازلوا المنية في القتال ومع ذلك عند ما دنت

منهم الوفاة وهم في منازلهم ارتجفت ابدانهم واهتزت فاستعانوا بالله على لقائهم فان

«ليلون» القائد العظيم المشهور في مقارعة الابطال لم يغفل ذكر الله عند ما حضرته المنون

فهزت الام راسها استغنائاً اما الابنة فسخرت من امها وقالت للحارس

- اني نادمة من اجل صد الكاهن وانكار ما اشار اليّ به

فعندئذ نهضت الام من مريضها وقالت - اضربي الكلام فما قد قربت

للساعة التي بها تقابل اخاك مارسبال

وما كادت ثم لفظ هذا الاسم الا وفرع باب السجين

فصاحت افلين - لقد خدعنا بقولهم لنا ان قد يقضي علينا الساعة السابعة

فانها لم تبلغ بعد الخامسة

فنام الحارس الى الباب ثم عاد واعلن للام قدوم ولدها مارسيل وقد جاء
خصوصاً لمقابلتها

- دعه يدخل

فدخل مارسيل وكان اصفر الوجه كئيباً فلما رآته امه قالت له

- هل دريت بما سويب امك من العذاب

- أما كنت قد انذرتك بهذا فلم تعباي و

فانقضت الام من هذا الكلام لانها كانت تأمل ان تسمع من مارسيل

ما يزيد لها شجاعة وما يسعدها على النجاة فقالت

- اعلم يا مارسيل انه قد بقي من عمري ثلاث ساعات وعم قريب

يقادونا الى ساحة سان جاك حيث يقضى علينا

- اسفاه وهل استطيع للامر دفاعاً . فلو سعيت سعيك او سرت سيرتك

لاصابي! ما اصابك

فصاحت افلين - آه يا اخي ما كان ضرني لو اذعنت لرأيك وعدلت

الى سيرتك

- لقد قضي الامر ولم يبق الا الصبر فلا بد ان ياخذ العدل مجراه

- اذن استخلفك على فرنسوا واماند بين فاطلب اليك ان تعني بنهذبيها

كل العناية اما نقولا فلا ريب انه يتبعنا على الاثر

فقالت الام - ان فرنسوا ايضاً لا بد ان يجي شهرة عائلتي فيعمل عملنا

فاجابها مارسيل - كلاً اماه ليس الامر كما توهمين فاننا سنرايل فرنسا

قريباً

- الى اين تذهب

- الى الجزائر فان لالوف كانت قد انقضت الابنة التي كان يحمل نقولا

على تربيها فكافاها اهلها اذ قطعوها مزرعة لهم في تلك الاقطار

— أأركن الى ما تقول

— لم آلف الكذب ولا انطق إلا بالحقى الواضح

— لقد زدني غماً بما تؤكده لي وقد كنت وطلت النفس على ان اولادي

ياخذون بثاري من اخصامي ويخطون خطوتي فيها انك عدلت بهم عن هذا العزم فصيرتهم حملاتاً بعد اذ كانوا ذئاباً

وعند ذلك آذنت الساعة الخامسة فصاحت افلين — لقد انت الساعة

يا للندامة

فاجابنها امها — صه ايها الجبانة فسامعك صوتي ساعة الوداع في تلك

الساحة

فصاحت افلين باخيها — بالله يا مارسيال انقذني من هذا المكان فها قد

اقبلوا علينا ليستاقونا كالغنم للذئب

فلما سمعت امها صوتها غضبت غضباً شديداً وتهديتها بالقتل اقبل الساعة

ان لم تكف عن الاستغاثة والاستنجاد

فنهض حينئذ مارسيال يريد الانصراف فقال — لقد دعوتني يا اماه اليك

فما حاجتك عندي اوضحها لي قبل انطلاقي

— كنت قد دعوتك لاوصيك باخذ ثاري من عدوي فخاب املي اذ

وجدتك جبناً ضعيفاً وفي ذاك الحين علت ضجة في دهليز المكان وازدحمت

الاقدام فنظر الحارس الى الساعة وانتصب واقفاً ينتظر اقبال الوفد

وكان الفجر قد لاح ففتح باب الديباس الذي اوت اليه الارملة وولدها

ودخل رجالان ويد كل منهما كرسي فتقدم كل منهما الى الارملة وقال لها

— لقد جاءت الساعة

فنهضت الام واحنت راسها . اما افلين فصاحت حتى اجمعا الصياح وعقيب

ذلك دخل ثلاثة جنود وبايديهم القبود يتقدمهم ضابط قد حمل الحكم الصادر

بالاعدام (وكان الجلود)

فاخذ الجند بتقميد افلين التي كانت ترأر زئبر الكواسر اما مارسبال فكان
يتوجع من هذا المشهد المتجع دون ان ينبس بكلمة
فتقدمت الارملة الى الجملاد قائلة - اين تريد ان اجاس
فاجابها - على هذا الكرسي

وقد كان كثير الحشد في ذلك الديماس وازدحمت فيه اقدام الناس فخطرت
الارملة في الجبال مطانة الببال لم ترهب هول تلك الحال . ثم تقدمت الى ولدها
وقالت لها عانيني يا ولدي

فلما سمعت الابنة هذا الصوت رفعت الحاظها الى العلاء وقالت - ربي
اسكب غضبك على هذه الام الشقية التي ساقني بشرورها الى هذا المكان المظلم
وعلمني من المكر والغدر ما لم اكن اعلم فجير عني كووس العذاب وابلت جسدي
باشد مصاب

فاعترضنها امها قائلة مرة اخرى - ولدي قبليني عانيني قبل ان تنارقيني
فجزعها افلين وقالت لا تدانيني
- بالله ولدي سامعني اذ كنت سبياً هلاكك

لا سماح ولا صغ فاليك عني اليك . وقد اغي عليها فسقطت دون حراك
فحوكت عندئذ الارملة الحاظها الى مارسبال وقالت له والدمع يهطل من عينيها
- وانت يا مارسبال هل تنكر علي هذه السلوى

فتقدم مارسبال اليها وارتي بين يديها وعقيب ان قبلته انهمضت وقالت
- انهمض يا مارسبال لقد طال بالجملاد المطال

فدنا الجملاد من مارسبال وقال - يجب عليك ان تنصرف من هنا لئلا
يدهك اذى

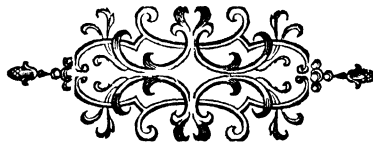
فخرج مارسبال حين كان الجند قد اخذوا الوثائق ليوثقوها كلا منها
على كرسيه ولما فرغوا من هذه المهمة اخرج الجملاد من جيبه المقرض وأشار الى
الام ان تجني راسها ففعلت قائلة له - اني اليك فافعل بي ما تشاء فلن تلقى في

معارضاً وقد نأكدت من قبل خضوعنا وإرتياحنا الى مثل هذه العقوبات فلم يفه الجلال بكلمة واخذ يقرض شعرها المسترسل على اكتافها فقالت له - اشكرك ايها الجلال على عنايتك بي فقد ذكرتني الآن بفعلك هذا عهداً طاب لي ذكره وهو انني لم أكن اعني بالمشوف منذ تزوجت ببارسيال. فالיום قد فعلت هذا حباً بالموت وهولى خير قرين

وبينا كان الجلال مشغلاً بقرض شعور الجانيات تقدم الكاهن من صاحب السجين وقال له دعني احاول الدخول على هذه الشقية علما ترعوي عن غيها فنتوب الى ربها. فاجاز له ذلك ولكن دون طائل لان الحبس كان قد ملأ قاصب الجانية فاعى بصيرتها ودفعها الى الياس والقنوط وعندما فرغ الجلال من عمله قال لها - لقد انجزنا ما يقتضي فهلاً تحتاجين الى شيء قبل السفر ألا تنزودين

فاجابته بكل رزانة - كلاً فان الارض تشبعني من جوفها ما يكفيني مرارة زادكم

ثم نهضت على عزم المسير الى الجزرة فاخترقت صفوف الجند وفي اثرها ولدها افلين محمولة على كرسياها لان العذاب وهوله كان قد اثر فيها فلم تستطع المسير على القدم الى الساحة حيث كانت العربية بانتظارهم فلما بلغوها ركب الجند والارملة وافلين قاصدين ساحة سان جاك



الفصل السادس والثلاثون

فتاك ومارسيال

قبل ان نستوفي الكلام عما يتعلق بمسألة ارملة مارسيال نعد الى ذكر ما جرى لفتاك عقب ان انقذ فرنسوا جرمن من يد السكتلون في لانفوس فخروجه من السجن فكان عن برهان قدمه بين يدي المستنطق فحاز لديه القبول

اما رودلف فكان يود فتاك مودة عظيمة فانزله في شارع بلومت حيث كان نازلاً ووعد ان ياخذ معه الى جرمانيا . لكن الفراندوق عندما عرف بحياة ولده تبدلت افكاره فتحولت عن نهجها الاول فعذر عنه لانه كان يخشى ان تذكر ماري الايام الاول فتاثر عند مرأى فتاك فقال له — ورد اليّ خبر من صديقي في الجزائر مفاده انه يجتاج الى مساعد فلما سمع فتاك هذا الكلام أكد وجهه واكتمر فاخذ يذرف الدمع لفراق الفراندوق وهجره

ولما كان الغد استدعى رودلف لالوف ومارسيال فانطعما المزرعة التي تقدم الكلام عنها جزاء ما اصطنعا من الجهد عند ولده ووطد الرأي على ان يرسل فتاك في رفقته

فاستوفيت عرى المودة بين مارسيال وفتاك وتمكنت رباطها حتى تلازما ملازمة السوار المعصم وكان فتاك في رفقة مارسيال ساعة سار لمقابله امه في

البحر حيث بني خارجاً ينتظره بالعربة فعند عودها الى باريس جرى بينهما
اناء الطريق الحديث الآتي

قال الفناك - حتى م هذا الكدر والحزن فانك لست بشيء مما أصاب
عائلتك فقد نهجت حيانتك كلها نهج الكرام وسرت سيرة شجاع هام وفضلاً عن
ذلك فانك اليوم ستزاي فرنسا فتنجو من الاوهام

- لقد اخبرتك يا فناك ان حزني لقد ابي واخوتي ...

- لا اخفي عنك انهم قد نالوا جزاهم

- لا انكر ذلك فهل هيات معدّات السفر معنا

- كلاً

- ولم

- لا اعلم كيف اتدبر بالامر وقد اخبرت امرانك بالسر

- دعنا الآن من ذكر الماضي فلا بدّ لنا رغماً عما يتقسم فؤادنا من الغم

لنراق الوطن ان نهجر بلدًا غادر اهلنا جرائم لا يسعنا استماع اذاعتها بين

الناس وقد فعلت انت ابضاً ما يدعوك الى مزرعة الرحيل واملي ان تصادف

حيث تنزل خطاً أكيداً وعيشاً رغيداً

- أما قرأت ما قيل .

ليس بخلو المرء من ضدي ولو حاول العزلة في رأس الجبل

- فلا بد ان يوجد هناك ما ياخذ بشار الفائدة مني

- كفناك تزعم نفسك بمثل هذه الافكار فهل فعلت ما فعلت عمداً وكم

كفرت عن ذنبك بالحسنات وما اظن الله تعالى يعاقبك عن جرئتكم

بعد تحقيق توبتك

- ان بالامس تراءى لي شعبة فهالتي .

- جاءك ذلك عرضاً

- كلاً بل جاءني نذيراً بمجاذب لا بدّ ان الفناء اليوم

— ذلك دم

— كلاب عندي انه الحنفية

— ان الحزن صور لك ذلك وقد عرفت خطأي الآن اذ اتخذتك لي رفيقاً في زيارة البارستان فائر في نفسك مشهد المعتوهين

فهر فتاك رأسه وقال — كنت قد علمت ان من عزم رودلف السفر هذا اليوم وقد ارسلت رسولا اليه يستعلم حالة فعاد فاخبرني بعزم السفر اليوم في طريق ابابري شارلتون ومنها الى المافرثم بركبان الباخرة الى مغلها فعمليو لا بد عند وصولنا الى باريس ان نخرج على منزل فنجري منه الوداع

— اتعبه جداً يا فتاك

— اني استميت بحبي لكي لا اعلم بالسبب الذي حمله على فصلي عنه

— فلعله يدعوك من الجزائر

— كلا وقد تاكدت انفصالي عنه دون رجعة

— فسرّ عنك الهم والغم واعلم ان عيشتنا في تلك الافطار تضرب على ما نقاسيه الآن فنعيش بمعالجة الارض عيشاً خصباً

— اسأل الله ان يولي عني الاحزان ويزيل الكروب التي احاطت بي من

كل جانب

— اني اؤكد لك الراحة والهناء فاقطع عنك افكار الهم والبلاء

— لقد ملوتها بكلامك يا مارسيل . فلا زلت مصدراً للسلاو في

كل حال

وكانت العربية قد بلغت باريس فقال مارسيل مخاطباً رفيقه فتاك . آملي

ان انا بك في الساعة الرابعة لان من عزمنا السفر عند الخامسة

— على الله اعتمادنا فافارقك الآن للذهاب الى وداع رودلف

فترجل فتاك وهار ومارسيل بذكره بساعة السفر حذر النسيان

الفصل السابع والثلاثون

موت فتاك

وما كاد فتاك يجري قابلاً إلا ورأى الزحام قد اشتد من حوله ففطن
 لأسبابه اذ كان ذلك اليوم خميس السكارى يوم مجنفل بو اهالي باريس على
 اختلاف طبقاتهم فيتأبون الحانات ومحال التنزه متزبين بازياء مختلفة يتعذر
 على امهر مصوري العصر ورسامو تصويرها بالفكر قبل القلم فتألب جميعهم قصد
 المسير الى الساحة التي يقفل فيها ارملة مارسيال ولدها فانسل فتاك بينهم بوسع
 الخطف بغية ان يبلغ الموضع قبلهم فيشهد الامر ثم يقفل راجعاً لوداع رودلف
 وما زال يجد في السير الى ان رأى حائطاً في طريقه فاستند اليه وكان مكاسراً
 حانة فلاح له داخلها رجالاً يرقصون وينشدون ثم انه تبين خلاصهم رجالاً مضيق
 اللثام كان يخاصر امرأة على رأسها قبعة مغطاة ببندوجراء وعليها ثلاث شارات
 نحاسية وكان ذلك الفتى نقولا مارسيال الذي كان قد فر حديثاً من سجن
 لافورس ثم رأى رجالاً آخر يخاصر امرأة طويلة القامة وعقيب ان تأمله جيداً عرفة
 انه هورفنة المكلتون وفي زاوية قاعة تلك الحانة كانت الغولة صاحبة نزل
 الارنب الابيض فمدق الى الراقصين لاسيما الى ولد صغير يسمى الحاضر بن
 بجر كاتو وكان تورتلار او هوي بن براروج حيثث في خدمة مكو. ولم يكن
 الا القليل حتى صاح المكلتون باعلى صوته افتحوا الباب وهبوا بنا الى
 الطريق فان ساعة الاعداء قد آذنت وقد طرق اذني صوت صغير الجلال

هلموا بنا نرفق في ساحة سان جاكس
ولما بلغت تلك الزمرة المجادة وإذا بفارس ينهب الأرض نهباً وقد تردى
برداء جندي جرمانا وعلى سرجه شارة جبرلوستين
فلما دنا منهم تقدم السككتون ورفاقه اليه فاحدقوا بولصبيوه وبعلبيوه
ما كان معه

فحاول الفارس الفرار فلم يستطع اذ ضايقة الحشد وكان تورتيلا قد
قبض على عنان الجواد فصاح الفارس - اليكم عني والأدهم مولاي في اثري
فما كاد يتم كلامه إلا وقد اقبلت عربية مولاه فقلعوا وحولوا عزمهم الى
الابتلاع براكب العربية فلما لاج للفارس وجه الخلاص هدد في العبر الى دار
الحكومة ليرفع الامر اليها فيأتي بشرذمة من الجند لانقاذ مولاه

وكان في تلك العربية رودلف وابنته ماري متردية برداء الحداد على
والدتها سارة وكان حاجب الامير الى جانب السائق ولما انتهوا من سيرهم الى
الجمهور المزدهم في تلك البقاع وقفت العربية فترجل الحاجب ووقف الى
جانب مولاه

فالتفت رودلف الى ولده وقال لها - اراك يا ماري مزعوجة من هذا
السفر باكراً

- لا باس فان مرأى الرياض الزاهرة بسرّي عني اهلهم ويجلي اكداري
- لا ريب ان هذه المناظر الطبيعية اثرا في النفس وخصوصاً اذا تقدمنا
الى تلك السهول التي تنتشر امامك انتشار السجل فنبذ لك كانتها بساط من
زبرجد وهناك يوافينا مورفي بعربك آه حتي اذا بلغت جبرلوستين لقيت تمام
السعادة وكال الهناء

- اشكرك يا ابي على مزيد عنايتك في ابعادني وراحتي

- لا غرض لي من دنياي الا ما يؤهل هذا الأرب

وفي ذاك المحين ازداد الزحام وعلت الغوغاء واشتدت الضوضاء ففتح

رودلف نافذة العربى فقال للحاجب

- ما سبب هذه المجلبة يا فريتر

- أن موكباً حافلاً يتقدمنا فيمنعنا من السير

- قل للسائق ان يعدل عن هذا الطريق الى اخر يوصلنا الى الكارنتون

- لقد فانا يا مولاي زمان العدول عن السير وقد تصدى لنا جمهور

السكرارى المنتشر في هذه الساحة

فصاحت ماري مدهوشة - ابي ما هذه الغوغاء

- لا باس يا ولدي كوني مطمئنة

فتقدم حينئذ السكرتون من نافذة العربى فابتدروا رودلف بهذا الخطاب

- ما شأنك يا رجل ولم تصد العربى عن السير

فاجابه - اننى استوقفنها بغية أن اخذ منك بئار الولد

فوجفت ماري وقالت - ابي ابي

- قلت لك كوني براحة فليس ما يبعث على القلق فان هذا اليوم هو

خمس السكرارى وقد جاءنا هذا الرجل على غير هدى

فصاح نقولا مارسيل - كلا فاننا على يقين ما نفعل ونقول ولا بد ان

نخرجك من العربى قسراً

فاخرج رودلف كيس الدراهم من جيبه والقاه في كف السكرتون قائلاً

- دونكم ما يكفيكم لذة يومكم من المعسكرات

فابي السكرتون اخذ الدراهم فالقاهما عنه جانباً الى توريلار وفتح نافذة

العربى وقال

- لا بد أن نصيب اليوم غنيمة باردة وما آتيت به دليل بين على مالديك

من المال الوافر

فلما سمع رودلف هذا الخطاب وكانت قد فرغت جعبته صبره ترجل ووثب

على السكرتون فاخذه بخنافه والقاه على الارض وبينما هما في نزاع وخصام انتهر

السكانون فرصة اخراج مدينه من جيده فاشهرها على رودلف
 اما ماري فلما رأت الاشقياء قد احدثوا بوالدها واشهروا عليه السلاح
 ارتقت عليه واخذت تدافع عنه بيدها
 اما فتاك فلما رأى عن بعد نالجب المجمع على رجل واحد هرع اليه وعقب
 ان بصره عرفه للحال فقد حث عيناه الشرر فمسك بيد السكتون والقاه
 بعيداً

فلما تأمله هذا الشقي عرفه وتذكر بانه هو الذي انقذ جرمن من يده
 في السجن

فعاد منفصاً عليه كالذئب الخاطف وهو يزار ثكلتك امك يا جري أما
 كفاك ما فعلت بي بالامس حتى عدت الى مقارعتي اليوم وعاجله بطعنه في
 صدره

فلم يتأثر فتاك من هذه الطعنة وثبت قدمه في المجال الى ان سمع صوت
 الجمهور يضحون الشرط الشرط

فتفرق للحال الحشد وذهب كل في طريقه الى ان خلت تلك البقعة من
 الرجال فعد رودلف بمساعدة الفارس والجند الى معالجة فتاك فحملوه الى الحانة
 حيث اخذت الغولة بضمة جرحه ثم التفت حينئذ رودلف الى حاجبه وقال له
 - سر عجلأ الى شارع بلومت فاستدعي الطبيب داود وانت يا ماري

التي في العربية ريثما ننهي من مداواة هذا الانسان

- كلاً يا والدي اني اليك حيث تذهب

- لا تقوين يا ولدي على المشقة والمشهد منجع

- لا يعني ان ابني وحدي

فاخذها رودلف معه وسار الى الموضع الذي طرح فيه فتاك فلما رأى

المخرج رودلف صاح قائلاً

- لك الشكر يا ربي على ما اوليتني من فضلك

فأعترضه الأمير قائلاً - اني اشكرك يا اخي اذ كنت منقذي مرة أخرى -
 اعلم يا مولاي اني كنت على قدم المسير الى كارنتون حيث كنت اعلل
 نفسي برآك قبل فراقك فقدر الله ان افقد حيث الفيتني منجداً وسنداً فلا
 تكثب يا مولاي لما نابني فان ذلك كان بفضاء وقدر . وقد اخبرت مارسيال
 صباحاً قبل ان افصل عنه بما سينالني في هذا اليوم المشنوم

- دع عنك هذه الافكار يا اخي وانكل على الله فهو يعينك
 - كان يا مولاي قد ترأى لي امس ليلاً شيخ القائد بطالبي بحفة
 - لله درك فقد قيدتني بجميلك يا فتاك فكنت علة نجاتي بل سبب حياتي
 - لا لال لم افعل الا ما كتب علي فابسط يدك يا مولاي فاقبلها
 فبسط رودلف كفه فقبلها فتاك واذا حانت منه التفاتة نحو ماري صاح
 قائلاً - غنية . غنية .

فاجابه رودلف - هي ولدي وقد انتفت معي على شكرك لانك انتذنتني
 من شر الاشقياء

- آهي ولدك . . . وداعاً يا مولاي وداعاً يا اصدقائي وخالاني
 فلما سمع رودلف انين فتاك ووداعه اذرف العبرات واستخرط بالبكاء
 الى ان سمع صوت عربة الطبيب داود فأفاق وقال مخاطباً الطبيب - عليك
 بانقاذ حياة صديقي فتاك كما انتذت حياتك
 فاحني الطبيب راسه خضوعاً وتقدم الى الجرحى فحضره جيداً فالتأه دون
 حراك فقطب وجهه وارند مذعوراً

وفي تلك الاثناء رفع فتاك الحافظة الى رودلف فودعه قبل ان يغض
 جفنيه فتدق الامر على رودلف فبكى عليه بكاء الخنساء على صخر الى ان انزلة الغير
 ثم استأنف الأمير الممير الى بلاده وهو يذرف عبرات الاسف ويردد
 عبارات اللهب

الخاتمة

جبرلوسنين

الفصل الاول

شكوى الحب

حبيبي مكسيميليان كامنز

« كنت قد وطدت نفسي على امل لقائك في اولند نزال بعد ان اقيمت في
 «جبرلوسنين عند الفراندوق وعلتها بانس الاجتماع بك والسرور براك فخانتي
 «الزمان اياماً اذ بخل علي بهذه الامنية فأخبرت انك قد زائلت البلد الى المجر
 «ولا يخفاك ما نالني من الكدر عند سماع هذا الخبر ومن الخيبة في تفهيك فكنت أود
 «ان اتصدى للزمان فالحق بك الى حيث نزلت فتغلب علي أو اعترض دون
 «فصدي ورغبتي مانع من اعتلال صحة والدي فرأيت من الواجب ان اصبر
 «على آذى الدهر فالبث الى حين يتسني لي الاستظهار عليه فابعث اليك
 «برسائي تحمل اليك سرائري حتي اذا علمت بما عندي منك وبأسباب
 «انقطاعي عنك وما لقيت من اجلك كنت عاذري فاسمع لي ان ابسط لديك

« ما عرض لي في غضون تغيبك عني وما كان اشد احناجي الى وفائك وافتقاري
 الى اخلاصك وصفائك لو كنت تعلم بما نالني من اليأس عندما وقفت على
 شاطئ بحيرة اونفيلد وما عرا قلبي من الاسف اذ تذكرت اباماً بها سلفت
 ولكن واسفاه لقد جرى في تلك الناحية حادثة مفرجة افضت الى قتل الفيكونت
 » سان رامي بحد السيف في البراز مع سبيلي داود

« فلانهزأ يا حبيبي بي وبكتائي وانظر اليه بعين الحب لا بعين المشتد
 » واسمع قصتي

« كنت قد استاذنت الحكومة ان تسمح لي بعطلة ستة اشهر اقيم اثنتائها الى
 » جانب والدي العليل فاجابت التماسي فسافرت الى اولدنزال وفي حال
 » وصولي رأيت والدي قد نث . فاجاز لي ان اشخص الى جبرلوستين حيث
 » احظى برأى عمي الاميرة جوليانا

« غير خاف ابها الصديق ان نسبنا بماكي نسب نمو الفراندوق وكان
 » قد سلم عند امعائو في السياحة الى والدي زمام الاحكام وما اظنك اغفلت
 » ما طرق سمعنا اثناء وقوفنا على ضفائ (الرين) ان الفراندوق في غضون
 » المدة التي قضاها في فرنسا قد وجد الابنة التي كانت ثمره زواجه الاول من
 » الكونتس ساره ماكر كوار بعد ان كان قد أرحف بفقدائها ولما لقبها سعى في
 » تثبيت عقد الزواج مع ساره وصك ولادة ماري . فضلاً عما تعلمه من هذا
 » الامر كان قد اخبرنا اللورد (ددي) في فيينا عن ابنة الفراندوق الاميرة
 » (ألمي (١)

« فعند وصولي الى جبرلوستين اردت نوا قصر عمي الاميرة جوليانا
 » وكانت رئيسة دبر القديسة هارمينيا وكان على مسافة من جبرلوستين فلا حاجة

(١) ان الفراندوق كان قد لقب ابنته باسم امه لينيني عنها الاكدار التي
 تلم بفوادها عند ذكر ماري الاسم الذي دعيت به ايام الشفاء وملافة صوف
 العناء والبلاء

« الى ان اصف لك ما مثل عمتي من الفرح والسرور بلفيماي فانها اكرمت
 « مثنوي وترحت بي ترجباً لا يحيط به وصف فما كاد يستقر بي المقام حتى
 « اخبرتني في عرض حديثها معي عن حفلة تعقد مساءً في قصر جيرلوستين وقد دعي
 « اليها اشراف البلاد واعيانها من امراء وكبراء ووجهاء من رجال ونساء
 « احضاراً بقدم المركبة دي هرقل (١) ووالدها الكونت دوريني وراس
 « الحفلة (درة جيرلوستين) فسالنها عن هذا الاسم وحقيقته فقالت - يراد به الاميرة
 « أملي ثم اخذت تعالي في وصفها وتظن في محاسنها واحسانها حتى اعطمت قدرها
 « ونفت الى رويها . فسالنها

« - هل هي ابنة عمي

« - نعم انتم من نسب واحد

« - هل يتسنى لي رؤاها والاجتماع بها

« - انها غداً تأتي لزيارة (الماوي) الذي شادته نحت رئاستها خصوصاً

« للالايم والمعوزين من ابناء البلاد وفي نقضي زماناً طويلاً في محادثتهم وملاطفتهم

« فقدر اذن لطفها وحبها للخير وذوي

« فتزع بي الشوق اليها الصديق منزعاً بعيداً الى الالقاء بها فقلت لعمتي

« - اخشي ان يتم بي سروري لدن الوقوف بها فتواخذني مواخذة ناباها

« طباعي

« - كلاً لا تخف فانها قد عرفتك من قبل

« - من اين اتصلت بها معرفتي وقد كنت بعيداً منها فبالله اصدقني المثال

« - اولاً تذكر الزمن الذي نزلت فيه وانت ووالدك من البلاد قصد

« السباحة في انحاء روسية منذمت عشرة سنة فانها استدعت اثناء تفهيك احد

(١) نقدم الكلام ان قد كان من عزم رودلف التزوج من كليمانس وعملاً

بهذا العزم احب ان يقرن القول بالفعل

« المصوِّرين الشهيرين الماجور (فرنزموكر) فصوِّرك بزي راج في الا عصر
الاول »

« - انني تذكرت ذلك وكان زي القرن السادس عشر لكن اني تيسر
للأميرة ان ترى هذا الرسم »

« - انها كانت قد انت يومًا مع والدها الى زيارتي وبينما كانت تقلب
النظر في الصور والرسوم المعلقة على جدران الحجرة رأت رسبك فسالني عن
صاحبها فاجبتها انه رسم احد افراد العائلة وهو شاب امتاز بالشجاعة والاقدام
» (فارجوك ان تغض الطرف عن ذكر هذا الوصف فلم ارضه لنفسي بل نقلته اليك
كما نقلته عن عمي)

« فانهي بيننا الحديث في ذاك الحيف الى هذا الجواب ولما اقتضى عليّ
» زيارتهم في القصر دخلت الردهة فجلست فيها احدهم واول خطاب فاهت به
» الأميرة كان فيما يتعلق بهذا الرسم فاجبتها

« - انه رسم ابن شقيقي الأمير بول هرکوسن وهو الآن مقدم المحرس
» الامبراطوري في باب دولة النمسا في فيناردهو شاب لم يبلغ بعد الحادية والعشرين
» من سنه »

« فلما سمعت الأميرة هذا التحقيق احمر وجهها وخفق قلبها
» وقد جرت هذه الحادثة مساء وصولي الى جبرلوستين ولما اغربت
» الشمس انفصلت عن عمي الى الغرفة التي ارضدت لاقامتي

« فممت رديًا من الزمان وانا في حيرة من الامر نارة اراجع في نفسي كلام
» عمي وحينًا كلام الأميرة فيما يتعلق في الرسم الى ان آذنت الساعة التاسعة
» فتخلفت بالخاتم الذي ذكرت قصته لك قبلًا (١) وترديت برداء الجندية
» ونفدت السيف والوسام السامي وممت امشي في ارض الغرفة وقد خجل وقتئذ

(١) ان الكونتس ساكلا احدى نساء البلاط الامبراطوري كانت ارملة
قد اناها هو هنري فتمكن في قلبها وعربونًا لهذا العهد قدمت له ذاك الخاتم

« ان أُملي ستوافيني بداهة فإلبيت برهة على هذه الحال ألا وقد خطر لي ما نفى
 «عني ذاك الخيال فقلت في نفسي من اين لي ان اطعم بالتقرب من الغراندوق
 » وقد جعلت الايام بوناً عظيماً بين نسبي ونسبه فركبت العربية قاصداً
 « قصر الغراندوق قِياماً بما تفرضه عليّ منزلته من الواجبات . واذ بلغته
 « اختلج صدرى وتخاذلت ركبتي وضعف عزمي لاني كنت اخاف ان اصادف
 « لدى الاميرة فتوراً فخطر لي ان ارجع الى حيث أتيت واذا فتحت نافذة العربية
 « لاشير الى السائق بالرجوع لفتت البارون مكو ومدامته على الطريق فحياني
 « بالسلام وأشار اليّ مستوقفاً العربية حتى اذا دناني قال لي - ما بالك تتردد
 « في المسير هل داهم الجياد باعث هيا في رفقنا الى القصر

« كنت ايها الصديق قد عولت على تقديم العذر في انكار طلبه فلا ادري
 » ما الذي حملني وقننذير على اجابة سؤاله شاكراً

« فسرنا معاً الى القصر وقلبي اسير اشراك الهوى والغرام فلما انتهينا اليه
 « دخلنا فناءه وقد كان بهجة للناظرين وسطه بناء مشيد ينطح السماء بروقه
 « فامعنيت اذ ذاك في معاتبة دهري الذي صدّني عن معرفة أُملي ايام كانت
 « مقبلة في باريس فدخلت دهليز القصر واذا بالجند قد قامت فيه عن الجانبيين
 « بالحلل الرسمية فتقدمت بينهما بعد التحية الجندية المألوفة متخطياً الى
 « الدار التي وقف بياها الحرس الملكي فالتفتي التحية عليّ برفع السيوف فحيينهم
 « باكرم منها وما زلت اخطو الى ان افضى بي المسير الى الردهة الاولى فلقيني
 « فيها حاجب الغراندوق بكل ترحاب ومشى قدامي الى الردهة التي غصت
 « بالجمهور فدخلتها اخترق الصفوف وقد كنت اسمع في طريقي ما كان يدور
 « بينهم من الحديث في وصف جمال أُملي ولطف شمائل المركيزة دي هرفيل
 « وسمو مقام الارشيدوقة صوفها التي قدمت من مونيخ مع سمو الارشيدوق
 « استانسلاس وهما على قدم الممير الى وارسو ولما دنوت من الردهة التي كان جالساً
 « فيها الغراندوق وابته أُملي خفق قلبي ونبضت فرائصي ورأيت الشهير ولنرت

« يوقع على البيانوشهد جاندارك فلبثت انتظر نهاية الغناء
 « فاسمع لي اذن ايها الصديق ان اشغل فكرك بما اشغلت فكركي اشياء
 « الانتظار ببداية تلك الفاعة وطرفها فتمثل يا اخي قاعة عظيمة الارحاء
 « وغال ما شئت بثمن فرشها واثائها ثم تصور امامك الفراندوق مستويًا في
 « صدرها على مائدة مغطاة بالذهب الخالص وعن يمينه الارشيدوقه وعن يساره
 « المركيزة دي هرفيل والى جانبها الاميرة أملي (تلك التي قبضت بحسنها على زمام
 « قلبي وعقلي) فلا تلمني اذا كنت كلما ذكرت اسمها او كنيته اكدت احترامي
 « لتمامها الكريم واحترام قلبي بحبها المقيم
 « ولا حاجة في ان اطرب في وصف محاسن فاتي فان جمالها كان يضرب
 « على جمال سائر الحاضرين وقد ازداد حسنًا وبهاء بلباسها الاتيق وحلاها
 « التي كانت تتألق على صدرها وقد رأيتها وقتئذ تغتر عن ثعراولوي فلم
 « اعلم بما كان يبعثها على ذلك الاتيسام فتناوئة قائلًا - لعلنا كان نتيجة طرب
 « او هزة عشق وغرام
 « ولما تأملتها جيدًا تذكرت كلام عمتي ووصفها فصوبته وزدت من عندي
 « ما قصر اسانها عن وصفه فاني على رغم شجاعتي وبأسى واستظهارى على جنود
 « الهوى لم اطق صبرًا على تلك الحال فكذت ابي في المجال لا سيما عندما
 « رشفتني املي من خلال تلك الصفوف بلحظ كدت اشرب منه الخنوف
 « واذا كان قد رأى الشعب مزيد عناية الحاجب بي واحفائه بقدمي انزاحوا
 « قليلًا وهم من حولي كالحاجب المقرون وتركوني هداً لسهام تلك العيون
 « فعرفتني الاميرة بعد ان احدثت اليّ فدنت من الارشيدوقه فمهست
 « في اذنها ثم ان الفراندوق بينا كان يجمل النظر في المحضور ابصرني فحياني
 « من بعد ثم تقدم الى ولده فحدها حديثًا اجر وجهها منه
 « فطال اذ ذاك اصطباري وخنق قلبي الى ان انتهت للموسيقى فقام
 « الفراندوق اليّ وسلم عليّ سلامًا كريمًا ثم اخذ بيدي وقدمني الى الارشيدوقه

« قائلاً لها - اني اقدم لك ابن عمي الامير هنري مقدم الحرس الامبراطوري
 « فاحنت الارشيدوقة راسها وقالت - اني عرفته في فينا حيث رأيت مراراً وقد
 « سرني الآن لقياه ثم تقدم الفراندوق الى ولده أملي وقال لها - نعرفي يا ولدي
 « بابن عمك الامير هنري ابن الامير بول الذي غني جداً بعاده عن
 « جبرلوستين

« فاجابته أملي - بسرني ان أرى ابن عمي وصديق والدي
 « فيها ايها الحبيب ماكدت اسمع تلك الالفاظ العذبة الأوقد ترغ عظمي من
 « الذهول فما الحمام في الاسحار على الاغصان باسمع منها عند الكلام
 « وغنيب ان قضينا واجب الاكرام لمن وجب قال لي الفراندوق
 « لما كان من عزمك الاقامة طويلاً في هذه البلاد فاطلب اليك ان
 « تكثر التردد اليها فتقصد التنزه معنا في الرياض والغابات لانه كما لا يخفك
 « قد وقع حبك في قلبي منذ القديم فيطالبني بفرك كل حين
 « فاجبته بصوت ضعيف - لقد زدتم في ملاطفتي الى جد يعجز عن شكره
 « لسانني فالاليق لي ان التزم السكوت وهو محجني في معرض
 « ثم طلب الي ان اخاصر ابنة عمي فاعربت له عن حبي لم وانسي بفزهم
 « فتمت للحال ملياً الدعوة فتقدمت الى الاميرة أملي وطلبت اليها بكل احترام
 « ان ترضاني مخاصراً لما فاجابت سؤالي وابلغني الأرب

« من لي بوصف السرور الذي ملأ فؤادي عندما علته بقرب نيل
 « امنه فاني لشدة ما فرحت ايها الصديق قد خشيت ان تنم في ظواهي
 « ونيلي سرائري التي كنت احاول جهدي اخفاءها فجلست اثناء مخاصرتها
 « الارشيدوق ورقصها معه اسكن روحي والهوبما يشغلني عنها الى ان حان وقت
 « ورقصنا معاً فتقدمت اذ ذاك اليها وقلت لها

« - انسمحين لي ابنتي الاميرة ان ادعوك بابتة عمي حسبما اشار الي والدك
 « فاجابت - اني الى كل ما يأمر به والدي
 « - بمثل هذه العائلة بحق النفر وقد اخبرني عمي الاميرة جوليانا
 « - ان والدي حدثني عن شجاعتك واقدامك من قبل وقد عرفتك
 « لاول نظرة فضلاً عن ذلك كنت قد رأيت رسمك عند رئيسة دبرهاريينا
 « - آسفاه اخاف ان لا اكون طبق الرمم
 « - كلاً فانه يحاكبك في كل معانيك
 « ويناها يتعدنان مرّ بها الغراندوق مخاصراً الارشيدوقة وقد عقدت
 « عليها الاحداق عند النطاق
 « فقالت له املي - ما اجمع النظر اليها وقد وفقت بينهما النسبة من كل
 « قبيل

« - لا ريب في كلامك وهل لك معرفة بالمركية دي هرفيل في فرنسا
 « فماكدت اللفظ هذا الاسم 'الأوتبدل وجهها بالكدر فانذهلت' من
 « ذلك ولبثت في حيرة الى ان انتهت الحفلة فرافقتها الى قرب المركيزة ووقفت
 « الى جانبها اخنلس النظر وقصارى القول اني قضيت الليلة الاولى في
 « جبرلوستين بكل سرور وانبهاج ولما كان اليوم الثاني المعين لحفلة العرس
 « جئت الفصر في عداد المدعوبين فالبدر كاملاً باجل ما شهدت في محيا
 « أملي تلك الليلة

« وعند الساعة الثالثة قمت فاخذت يدها وانصرفت معها الى الحديقة حيث
 « كنا نتمشي فيها بين عرف الورد وشذا الرياحين تنفكه بالكلام عن العروسة
 « وبعد حفلة الاكليل قصدت مقصورة الغراندوق فاجلني الى جانبه واخذ
 « يحدثني حديثاً شمل الاحوال الماضية والحاضرة وارشدني سراً الى ما فيه
 « خبري فظننت انها الصديق ان قد ادرك الامور سر قلبي فأراد ان يهدي لي
 « سبيل الوصول الى ما ارغب وانوي

« فشكرته على ما أبدى ووعده بالقيام على ما ارشدني اليه ووقفني عنده
 « كنت قبلاً لزور القصر لما لكنني بعد ان آتست من الغراندوق
 « واسرته ارتياحاً الى الاجتماع بي اكثرت التردد اليه وكنت اذهب معهم الى
 « التنزه حيناً في الحدائق والرياض وحيناً اخر كنت اجالس املي فاطرب بجديتها
 « وسهرها آه ما كان اقصر تلك الليالي فانها كانت تجرفها اللذة كما جرف
 « السيل الحصة اذ كنت اقوم لديها فتكاشفني بأسرارها وتبني شوقها وسرورها
 « وكثيراً ما اتخذتني رفيقها في زيارتها الماوى الذي كانت تؤمّه وطلبت اليّ حين
 « كنت اكتب الي والدي ان ابغى سلامها وقد بعثت اليه يوماً بخمسة سنية رغبة
 « ان يحفظها عنها ذكرى وخلاصة القول انها ارتنتي بحسنها وتسلبت لي بلطفها
 « وانسها

« وهذه هي المرة الاولى التي بحث بها بحبي اليك وقد سني الهاس وادركني
 « القنوط لاسيما عند ما بدا لي ضرورة سفري الى فيينا فحلفت ان يزوج الامير
 « كريمة من غيري فاكون قد جنبت على نفسي بما احملها من اثقال الوبس
 « وتباريح الغرام . ولما كانت دلائل الحب لا تخفى على احد ثم بسري وجهي لدى
 « ابنة عمي فساألني عند سفري

« — ما بالك كثيراً حزينا ماذا دهاك وانت من ابي في منزله ولده
 « ان مدبب حزني هو قرب ساعته بعادي من ديار رأيت فيها ربيع انسي
 « فيبت لكلامي وقالت — سر ولا نخش جناء او صدوداً فاني لن
 « اهر ذكرك ما عشت وانت لدي بمثابة شقيق

« فعند هذا البيان حاولت التماس البرهان على حيي فقلت لها — لا ارثاب
 « في ما تتولين ولكن الزمان لا يلبث ان يضرب على ذكرى اذا افضى بتوفيقك
 « مع احد الامراء ولهذا تربطني كثيراً

« ولما انتهيت الى هذا الكلام كانت ابنة عمي تفكر مطرقة كأنها لم تسمع

« ما فهمت به بكل ايضاح ثم فصلت عني مع صبيتها وغادرتني في الغرفة آليف
العموم والاكدار

« بقي ذاك المساء واقفاني كتاب والذي ينتهني بلزوم السفر فلما كان الغد
« قمت الى قصر الغراندوق لاجري سنة الوداع فعندما مثلت بين يديه
« ابتدرني بهذا الخطاب

« - اياك ان تغفل ما اودعته من محض النص وما ارشدت اليه من
« السبل القاصدة فقم على عهدك وتيقن حيي لك ولا تنأخرا بدار عن زيارتنا
« متى جادت لك الايام بذلك وقد كان من الواجب ان توافيك ابنة عمك
« لتودعك قبل سفرك غير ان العلة التي مستها امس تمنعها اضطراراً عنك
« ومع ذلك فانك لا بد قد اخذت عنها من موافيق الحب ما يوهك لك
« حرصها على ودادك ولولائك كل حين

« فشكرته على حسن القصد وحملته من اشواق وسلامي اليها ما لا ينتهي الى
« بيت ولا ينجصره عدو وسرت والاسف مله قلبي على طيب ذاك العهد
« فلما بلغت اول دنزال ألقيت والذي على بساط الراحة والعافية فسري
« عني شيئاً لكن وجهي ما زال يبوح ببعض ما في سرائري فسألني والذي مراراً
« ان اكشف له صدري وابش شكوى ما اعانيه واقاسيه فكنت انكر عليه الجواب
« الواضح الى ان تسنى لي ذات يوم اثناء رقاذه وانفرادي ان اكتب لك هذه
« الرسالة الطويلة المملة وبينما كنت اخطها اتبه والذي من نومه فرآني اكتب
« فاخذ الرسالة وسألني قائلاً
« - لمن الكتاب

« فاجبت - الى صديقي مكسيميليان
« فقرأها وما آتني على اخرها قال لي - قد عرفت السبب الذي اوجب
« كدرك فلا تبتس ولا تغزن فيها انا اكتب الى الغراندوق كتاباً اشرح له فيه
« هالك وما انت عليه ثم ارسلت الى جبرلوسين حيث نطني به رأى ابنة عمك

« نيران وجدك ونسر بالافتران بها »

« مآتي يا اخي تعرض والدي للامر ولوجست نفسي خيفة من حيوط
« المصي الآانة لما كان لا يسمني الآاذعان وجمت منكلاً على الله وعما قريب
« ساعلك بما يكون فالرجاء ان تنظر كتاي بعين الحب فنفض منه ما يزجك
« واناشدك بحق الاخاء والولاء ان تمد لي يد اطلما استوتقت بها في اعالي
« فحرر لي ما به استشهد ثبات حبك وخلص قلبك »

« الصديق »

« هنري دي هركوهن »

اولد نزال في ٢٥ آب عام ١٨٤١

.
.

فليهد معنا الفارئ الى قصر جيراوستين حيث نزلت ماري بعد رجوعها
من فرنسا

الفصل الثاني

خدر الاميرة امللي

ان الموضوع الذي نزلت فيه ماري كان نزهة للنواظر وبهجة للنواظر يشرف
منه على سهل جيراوستين الخصب فيرى المياه تنساب فيه انسياب الافعوان

فمنينيو لم يبدو لك بالقرب منه دبر التدبيرة هارمينا وقد احدثت بوالغابات
والحدثات احداق الظآن بالماء الرائق

فاذ كانت ماري جالسة صباح يوم من ايام الصيف عند نافذة خدرها
وهي تسرح النظر بمحاسن تلك المناظر البهجة تراهي لها ما قطب وجهها للحال
فاطرفت وتنهدت . فما كان برهة الا ووفد عليها كهلة فانه قد تردت بلباس
ايض فارزاعت ماري (أملي) عند مرآة فجأة وخشيت شيئا من سرورها
فقال لها

— ما شأنك ابنتي الكونتس

— جئت اعلن لسوك رغبة والدك بمنابلك هذا الصباح

— اني انتظر قدومه بفروغ صبر وما شان فورتيين هارنيم

— انها لله الحمد قد نهنت وعهدت الي ان افوم مقامها في خدمة

سوك الى ان تشفى تماما واملي ان تحصل على امنيتها في الغد . لكن بقي لي ان

اسأل عفوك وكرمك امنية جئت ارجو فيها من فضلك

— ما هي عجلي بالايضاح

— ان ابنة يمية اتخذتني لديدك شفيعا

— فما وجه المساعدة وما هي قصتها

— ان هذه الابنة اعزك الله لما مناها الدهر بنقد الاهل والكفيل زابلت

جبرلوستين ظمعا بالعش ولكن لم تفرغفها بما طمعت فارتدت على عقيها الى هذا

البلد فلجأت الى احدي الناضلات فاقامت عندها الى انها كتبت الي امس

تسأشفني لديدك

— اني انظر اليها فاتمها كل ما تحتاج اليه

— مولاتي ان كفيلتها افهمني انه اذا ترددنا في اغائة هذه الابنة التي لم تبلغ

من العمر اسدسة عشرة يخشى عليها ان تطوح في الغواية . . .

— غدا انزلها في المأوى دون تاخير

س على الله ان يجازيك ويكافئك عنا بما انت اهل له
وما امنت كلامها حتى سمعت صوت اقدم رودلف عند الباب فاسرعت
عندئذ الى الباب وخلفت ماري في هم من الاخبار التي نقلت اليها
فدخل رودلف ويده باقة زهور فقامت ماري الى استقباله فعانتهما
رودلف بعد التحية قائلاً لها - دونك هذه الباقة التي صرفت وقتاً طويلاً
في جمعها تنزيهاً لحاظرك

فلما نظرت اليها ماري حولت نظرها وبكت . فالتقى عندئذ رودلف
الباقة من يده على الارض وقال
- لم هذا البكاء ولم الخيب

فاجابت ماري - ان الرحمة مسمت فوادي فابكتني على شفاء ابنة فقيرة
اعلمتني بحالها الكونتس
- أما من سبب غير هذا

- ليس غير ما ابنت . ثم اخذت بيدها باقة الزهر وشرعت تمعده عن
رموزها

اما رودلف لم يرفض بما استفاده من جواب ماري بل نظر الى وجهها
المكد وقال - نشدتك الله الا اخبرتني بسر كدرك ودعي ذكر الزهر ومعانيه
- انه يذكرني يا ابي بعهد قضيت في نزل الارنب الابيض

- أما نسيت بعد اثار تلك الايام وذكر ما جرى لك فيها وقد كنت
استحلفك بحبي الا عدت تذكرتها لي

- آتيت عليها يا ابي عرضاً فسامعني
- كلاً بل ان هذه الافكار لا تلبث تجول في خللك وان اضربك عن

كشفيها لي فاسمعي يا ولدي ما خطر لي ان افعله في سبيل راحتك
- اني لديك سبعة

- ربما كان مرآى مور في ودام دي هزفيل من الاسباب التي تبعث

الذكرى في خاطرك فقد عزمت اذاً على ابعادها
 - كلاً لا تفعل يا ابي فانها سلوتي وغاية راحتي
 - لقد اخطأ ظنك في غاية راحتك فانك تسعين الى التمسب والكدر
 من حيث تزعمين وجود الراحة

وفي تلك الاثناء دخلت غراندوفة جبرلوستين (كليانس) تحمل يدها
 غلاًفاً فتقدمت الى رودلف وقالت
 - دونك كتاباً جاء به بريد باريس ثم عطفت على ماري وقبلتها بكل
 اشتياق

فاخذ رودلف الكتاب وتصفح الى ان فرغ منه فقال مخاطباً كليانس
 - اننا كما نتحدث بأخبار الماضي التي تثير في فؤاد ماري لوائح الحزن والامسى
 - هذا ما كنت اخشاه ولكن لما كنا نعرف العدو فلي امل عظيم بالاهتداء
 اليه والاستظهار عليه . فاخبرني الآن عن مصدر الكتاب
 - هذا كتاب بهيت بوالجي ريكولت امرأة جرمن
 فصاحت ماري صيحة الفرح وقالت - بالله قص علي يا ابي من اخبارها
 ما يرنح اليه قلبي وينشرح صدري
 فهمت كليانس في اذنو قائلة - اياك ان تفعل ربما كان الكتاب
 مريباً بكدر

- كلاً انه سلوى لها وما انا اقرأ نص الكتاب بحروفه
 من مزرعة بوكوفال في ١٥ اب سنة ١٨٤١
 الى سمو الغراندوف رودلف

سيدي

« ابن فضلك القديم وحبك المنيم بجملاني على ان اطلب اليك نعمة
 » نحدثني بخفي بنيلها من جودك وكرمك
 » ان الله قد من علينا بانه منذ عشرة ايام فنصالك ان تكون لما كتبلاً

« فتخار لها اسماً لا تقاها »

« ان جيعنا من حمد الله في راحه وهناه نفهض بشكره واحسانك وعن
« قريب يرفع الى سموك جرمه عريضة يشرح فيها بينات خلوصه وما يكون
« من امره في رثاسه المصرف

« ان الفرد يبيلت وامرانه يشتغلان عنده ومورل لا ينزال يتاجر بالجواهر
« مع ابنته أليس في ظله وقد نجت جوليات دوبارت في تجارنها في شارع الناميل
« واخيراً رجحت الدعوي التي افامتها على زوجها فابعدته من داره -
« واسترجعت ولدها

« ذلك ما اتصل بي من اخبار جهاتنا واهلها والجميع يشنون على جميلكم
« ويشفون على الدعاء لله بتأييد سموكم «ريكولت»

« (ذيل) ان نصيحتك لي (بالحرية والحكمة) قد جلبت لي السعادة
« والسرور وانما لا ازال ناهجة سبيلها

فقلت كليانس - سفيًا لهذه الابنة لقد اقيمت ما استحقته باعمالها ونجها لکن
مالي اراك يا ولدي ماري مقطبة الوجه عبوسة

- لا اشكروا بما

- لا بد ان يكون في نفسك سرٌ يعز عليك اقتضاه

- كلاً يا ابي

- اذن ما هو سبب كدرك وغمك

- ليس الا ما لاقيت في الماضي وما ربما آتاني في المستقبل

فصاح رودلف - يا للشقاء ويا لعظم البلاء

- لا تخف يا ابي ولا تطوح نفسك في مجال الياس

فقلت كليانس - عجبا ما الذي احدث فيك هذا الانقلاب السريع

بالامس كنت فرحة بمقابلة ابيك والقيام بنزبه فلما اراك اليوم وقد تبدلت

افكارك ففصرت كتيبة حزينة

فلم نجبها ماري على كلامها وفكرت في نفسها برهة ثم قالت
- اسمعا ما اكشفه لكم من مرادي

- عجلي

- هل تعداني بالعمل ؟

- نعم

- اعلم انني اود ان اصون مستقبل حياتي وامن راحتي فيه وقد قبل
«اذكر من براك في ايام شبابك»

فصرخ رودلف وقال - وبجي لقد ففدتها ولم بعد لي رجاء ببقائها
فساعيش بعدها في حزن دائم ونعيب ملازم
- لم تشبع يا ابني نفسك هذه الافكار

- بالله يا ولدي ما الذي بدل سرورك بالكدر
- ان الحادث الذي حدث اثناء الطريق بدل افكاري وحول عزمي
- فما هو

- ألا تذكر ما حدث في شارع هكفور عند التزل
- نعم اني لاناكر شجاعة فتاك واقدامه على خلاصي
- ألا تظن لما بدالك عند ما دخل فتاك التزل
- كلاً

- آه من جور تلك الغولة صاحبة نزل الارنب الابيض
- امين بدت لك تلك الثانية

- حيث قضى فتاك نحيبه

- فما لك ولمذه الافكار فخلبها عنك ولا تشغلي الا بما فيه سرورك وراحة

بالك

وفي ذلك الحين قرع الباب فقام رودلف اليه واذا بمورفي يقول له
- مولاي قد اناك رمول الامير مركوسن من اولد نزال بمحمل اليك

كتاباً منه

- اين هو

- انه على يدي

ورفع مورفي الكتاب الى سبده ودخل معه الى الغرفة فاقفل الباب وجلس عنده ينتظر فراغ الغراندوق من قرأه وهذا نصه

مولاي

« انه بلغني يا مولاي ما شمل فؤادكم من السرور والبهجة اذ وفي لكم
 « الدهر بعد غدوه فجمعكم بولدكم التي كنتم خشين عليها من ربه وشره .
 « ووفتكم الى لواء والدتها لتيسر لكم تحقيق نسبها وحسبها . ضيقاً لكم يا مولاي
 « وهنيئاً لما بالعود الى مجدها الاول في الامرة الملكية . وقد افادتني شفيقتي
 « الرئيسة في دبرهم منها ما احرزت تلك الهبة . من السجيا والمحصال الادبية
 « والعقلية التي تؤيد سمو ذلك النسب المقرون بجمال فائق الوصف
 « فلا اقول يا سيدي على اظهار ما استولى على نفسي من البهجة والمحور
 « يوم احفلت بهذه البشرية وقد كان بودي ان اقوم بذاتي لدى سموكم وافياً
 « بما تفرضه علي واجبات النسب الا ان العلة النازلة بي حالت دون الغرض
 « فلم تمنعني عن ان استنبط الكتاب مظهرًا فيه سرائري وسروري
 « فاستناداً الى ما قدمت من ادلة النسب الواضح والوداد الراجح اسالك
 « السماح في كشف الغرض الثاني من كتابي بكل بيان هو انه لما كان ولدي
 « مقبلاً في جبرلوستين اسعده المجد على الاجتماع بولدكم الكريمة فشغف قلبه
 « حبها وكلف بها دون ان يكتشفها به ففصل عنها وفي قلبه من حبها اوصال
 « لا تقطع فראيت ان امرح حاله لدى سموكم معتمداً على الحب الوالدي الذي
 « قابله به والعهد الودادي الذي اخذتموه عليه بالعود الى ربوعكم الزاهرة
 « فاود ابن يكون عوده الى تلك الديار في طريق ينهي به الى النهاية التي يتجرى
 « نهجها بكل نشاط واقدام »

« ولا اظنك يا مولاي تنكر عليه رغبته في الانصال بالاسرة الملكية وقد
 « طالما نظرتم اليه نظرة أب شفوق وقد رتم فضله وفضيلته فشهدتم فيه المزايا
 « التي ترفقه الى حد المساواة بينه وبين كرميتكم أملي
 « فالرجا يا مولاي بكرمكم المشهور ان تجيبوا سؤالي فتنايلوا طلبي بالقبول
 « وتاكدوا انني لا ابرح ما حبيت اميناً على حبيكم صادقاً في خدمتكم
 « كوستاقبول »

الفصل الثالث

كشف السرائر

عقيب ان تصفح رودلف الكتاب اطرق مفكراً ثم قال مخاطباً ما ربي
 - لقد ادركت الآن يا ولدي امراً حاولت كتمانته عليّ واني والله الا ان
 ينفش غيم الريب وتجلي شمس الحقيقة
 - ما المراد يا ابي وما ادركت
 - لقد توفرت لدي أساليب الخوف
 - من اجل من
 - من اهلك
 - وما الداعي اليه
 - انك ما زلت نمرين في نفسك اموراً تدعها غداً وما

- بالله اوضح الكلام

- انني الان استطيع ان آتيك ببيان ما كنت اتقي من قبل لشدة الغم الذي كان ينقسم قلبك لا سيما عندما كشفت لي عن عزيمتك في الانقطاع عن الدنيا وحكمت على نفسك بالمنية قبل حلولها بالانفراد في احدي الديار - لم ازل يا ابي على ما عزمت

فقالت لها كليانس - اترغبين يا ماري في هجرنا والانقطاع عنا
- كلاً فاني سادخل دير القديسة هارمينا وهو على مقربة من القصر
فبتيسر لكم متى شئتم زيارتي والاجتماع بي
فقال لها والدها - لا تلعبى يا ولدي في هذا الامر واخاف ان يعقبة
الندم

- انني لا اندم وانا على هدى من امري ففي العزلة كل سلوى
- بالله اوضعي لي سرّك تماماً وما اظن الفاعل في نفسك حب العزلة فلا بد ان يكون سبب اكدارك ناشئاً عن عوامل الحب التي تصيب فؤاد كل انسان فتكون قد فعلت بك ما فعلت بسواك من قبل وما تفعل من بعد
فانذهلت كليانس من هذا الكلام وأشارت الى رودلف ان يضرب عنه
اما هو فاستطرد حديثه قائلاً

- ما رأيك يا ولدي في ابن عمك الامير هنري
فلما سمعت ماري هذا الكلام اذرفت الدمع وارتمت على والدها فساء لها
- هل عندك منه شيء

فتشفّت ماري دمعها وقالت - بالله لا تسليني عنه
فقالت كليانس - آأصاب خاطر والدك
اما رودلف فاخذ بيد ماري وقال لها - اتخمين
- انهم احبه ولو كنت تدري ما حملت من اقبال الغرام في فؤادي حتى
الآن وحاولت جهدي الكتمان

١- هل دري هنري بحبك

- لا اعلم

- وهل عنده منك ما عندك منه

- أود لو كذب ظني

- لماذا

- لئلا يلُم بؤ منه شيء

- متى كان عهد هذا الحب

- منذ رأيت رسمه في دير القديسة هارمينيا

- عجباً ما الذي بدل افكارك وغير خواطرك فقد كنت بحث لي من

قبل انك تكريهين ذكر الساعة التي رُمقت بها ذاك الرسم

- انني قصدت بذلك اخفاء حبي لاسيما عندما عرفت ان الرئيسة هي

عمة هنري

- اذن حبك له نقرر منذ الساعه التي رأيتو رسماً

- وقد زاد حبي له منذ رأيتُه اثناء الحفلة التي عقدتها اخفاء بالارشيدوقه

صوفيا ثم تمكن بزيارتولي بعدها فتعلمت من دواعي الحب ما تجملت كنما للامر

لا سيما يوم جاء اوداعي ولهذا احببت سكني الدبر بعده

- لا تخافي يا ولدي فقد تمهدت سبل الرجاء

- آني يكون لي ما اروم وبابة وسيلة

- ان عنده منك يا ولدي ما تشكين منه

- انه لا يجني باالي كما نوم

- انه كلف بك وينها لك هلك

- آصحيح ما اسمعه

- اني علمت بصره منذ ساعة قابلته واستناداً الى هذا العلم كنت دعوته

الى ان يتردد الينا وسحنت له ان يجالملك وبقيم لديك متى شاء لان الصنات

التي امتاز بها توهله الى ذلك ثم انني اخذت ارشده سبيل الوصول الى الحد
الذي به يكون تمام رضاك وراحتك

- وما كانت نتيجة ذلك

- ان والده الامير بول بعث اليّ بكتاب يكشف لي عن رغبة ومحبة
ولده لك فاحب ان اجيب طلبه في زواج ابني منك

فحجبت ماري وجهها بكفها وقالت - ما اسعدني لولم هذا وكان لي

- ان راحتك متعلقة على ارادتك

- كلاً انصبت يا ابي

- لم اغفل شيئاً يا ولدي انه اذا دخلت الدبر قضيت عليّ بالعذاب

الى التبر فلا تسمي يا أملي بذلك بل عوّلي على العمل بما يكون منه راحتي

وهناك فاقلي ان تكوني معينة من أحبه من صميم قوادي

- أترضاه لي بهلاً

- نعم ومن عزمي ان اقيم لكما حفلة اكمل سرية في القصر يحضرها مورفي

ودي كراين اليهود وفي غد قرانكما تشخصان الى سويسرا او الى ايطاليا حيث

نقيم على اتم راحة واكمل سعادته وهناء

فصدقت كليمانس كلام رودلف وقالت - لا بد ان يكون هنري

رفيق ماري

- ونحن يا ولدي ننصد كل عام زيارتك لتنفذ احوالك وشفاء شوقك

فصاحت ماري - هل تصدق الاحلام فافوز بالمرام

- نعم وانا ادعوكما بالرفاء واللين

فقالت ماري - يا ابي اخاف ان يعلم هنري بماضي احوالي

فاعترضتها كليمانس قائلة - خلي عليك الاوهام واضربي على ذكر ما كان

في غايه للزمان

- انني احبها حين يتحدث به الخلف ولكن ابي لن يسلط يداً استلمها الا شفاء

من قبلو في باريس فاوّد ان امتنع في الدبر
فما اتمت هذه الكلمات الا وتناثرت الدموع من شؤن كليمانس ورودلف

وعقيب ذلك نشرت جريدة جيرلوستين الرسمية الخبر الآتي -
«امس امتنعت سمو الاميرة املي في دير القديسة هارمينيا بحضور الغراندوق
«واسرة جيرلوستين وقد احننى بها كل الاحتماء احفلف بسيامتها رئيس
«اساقفة اوبنهم وفي اثناء السيامة خطب سيادته خطبة بليغة اعرب فيها عن
«منافع الزهد والانتفاع لعبادة الله

الفصل الرابع

من ورودلف الى كليمانس^(١)

عزيرتي

«انه قد بلغني بشرى ابلال والدك فعزّزت امالي وحنفت رجائي بقرب
«عودك مع والدك اليّ وقد كنت افدنه قبلاً عن سوء المناخ وتعرضه للحوادث
«المجوية في المحل الذي يقيم فيه يد ان كلنه في النص حملة على العبث بنصائحي
«واشاورني فبانه يا كليمانس لا تنكري رأبي ورجائي في قبول طلبي واملي ان

(١) كان قد مرّ على امتناع ماري في الدبر سنة اشهر

« نسرعي بالندوم الي يوم تراكدين عافية ايلك ومندرتو على السيرا آه ان فليبي
 « ينظر اسفاً على فراقك وعيشك بعيدة مني وقد آلفني الغم وحالني المم من
 « يوم هجرت القصر الى دبار ايلك فحنت ان يلّم بك مصاب من جرّاء مشقات
 « الطريق والهموم التي داهمتك من قبل لو كنت تعلمين يا كليمانس بما قاسيت
 « من ألم الندم بعد فراقك والانفصال غنك واكثر عنب نفسي لعفرك
 « منفردة ولم اكن رفيقك في تلك الرحلة

« كليمانس لما كنت عالماً بغيرتك على والدك وحبك له خشيت ان ينوبك
 « من التفاني في خدمته نصّب مبرح فيبتليك بالالم وبفضي عليّ من اجل
 « ذلك بالعذاب والموت آه ما اشد حزني لمرض ايلك واعلاله واشد منه
 « حزني لبعدي وانقطاعك عني في زمان احتاج فيه اليك لارد من ينسوع
 « قلبك الصافي السلوى والعزاء

« اعلمي يا كليمانس ان ماري عزمت ان تمتنع غداً في اليوم الثلاثين من
 « حزيران في دبر القديسة هارمينيا وهو اليوم الذي اشهرت فيه السيف
 « على ابي فياله من ذكرى تذيب النفس لها حصرة واسفاً

« يا عزيزتي قد كنت ظننت ان الله قد غفر ذنبي وعفا عني فاعقب
 « عذابي بالراحة في العيش بقربك وبقرّب ولدي غير ان الله تعالى ابي الا ان
 « تظهر الحقيقة فحمل ماري على ان تروح باسرارها فتكدر صفو عيشي ونقضي
 « على نفسها بالانقطاع عن العالم لتكفر عما جنت ابيها يا لحزني وغبي عندما
 « رأيتها جاثية وكفيها على صدرها هيبة وخشوعاً تلمس البركة بعد ان كانت
 « مستولية على عرش الملك والناس من حولها سجدوا آه لو كانت عباراني ترسم
 « بالعبرات لعقشتها على الورق بقلم من نار

« وقد رايتها اليوم ضئيلة نحيلة يسر سواد ثيابها اصفرار وجهها فحنت ان

« بمنزلة المرض فيحرمونها ابداً ومن عزم رفيقاتها الزاهدات ان يجتنبها راهبة
« على خلاف نظام الرهبنة لما انها جمعت من الخلال والصنات ما يندر اتفاقها
« في قلب انسان

« ان هنري المسكين قد شفي من علته ورجائي ان تسرعني اتي مع والدك
« بوقت قريب واذكري ان غداً يكون يوم احزان رودلف فم غداً هو اليوم
« الذي اتى به جزائي فلا تسمعي ان اموت معذباً قبل ان اراك
من جبرلوستين في ٢٩ حزيران سنة ١٨٤٢ «رودلف»

من دبر القديعة هارمينيا

الساعة الرابعة صباحاً

عزيزتي كليمانس

« كنت قد اخبرتك قبلاً عن ضعف ماري وهزالها واليوم اكثب اليك
« عما اتخذت من الاسباب وقاية لها فاني ارسلت مورفي وداود الى الدبر
« وطلبت الى الرئيسة ان تسمح لها بالقيام في الغرفة التي كان يتنزل فيها هنري
« بعزل عن مبايت الدبر حتي يراقبها عن كثب حال ماري وينظر في
« احياجاتها فضلاً عن ذلك انني اوصيتها ان تقيم الصلوة في غرفتها وليس
« في الكنيسة لان قيامها كثيراً في المحال المعرضة للهواء مجلبة للملحة فاجابني
« بكتاب هذا نصه

والدي العزيز

« انني تلوت كتابك مسرورة بما نشرت فيه علي من البشائر بسلامتك
« وراحتك لمزيد عنايتك بي ومواصلة اهتمامك بشأني غيراني لا استطيع ان
« آتي الا ما يجولني نظام الدبر وقوانينه وعلى كل حال انني لا ابرح ابداً مبيعة
« لك مطبعة لا وارك وغداً سانتظم في ملك المجاهدات في سبيل البروتستونى
لجده تعالى «الاخت أملي»

« غير خاف ما حاق بفؤادي من الغم عند تلاوة هذا الكتاب وكنت وقتئذ في حجر قري الذي حيث صب علي غضبه وسخطه الى ان اذنت الساعة الواحدة من نصف الليل فسمعت صوت مورفي ظاهر النصر فنبضت فرائصي ولما دخل علي »
 « قال - الساعة الثانية من مساء امس دخلت أُملي الكنيسة وجثت فيها مدة مستطيلة وبينما هي تصلي لاح لي انها نثني من العي وما كان برهة من الزمان »
 « الأ ومندم اليها اثنتان من اخواتها فاخذتا بيدها واصعداها الى الغرفة واسرعا بالحوال فاستدعيا الطبيب داود وهو الآن قائم في تمريضها . فلما سمعت الخبر اسرعت الى الدبر فحفت الاميرة جوليانا الى استقبالني عند الباب وقالت - ان »
 « صحتها تحسنت وارى ان لا نقبل عليها الآن لئلا يبادها ألم من لفيك فقيمت »
 « في غرفة هنالك انتظر الاخبار الى ان اتاني الطبيب داود فسكن بالي »
 « وازال ما بي من القلق والاضطراب ثم وعدني بمقابلتها بعد ان تكون قد »
 « اتمت فروضها في الكنيسة فعندئذ نهضت من مكاني وتخطيت الى الدهليز »
 « المشرف على الكنيسة فنظرت منه وادي أُملي جاثية على ركبتيها وكانت تصلي »
 « بذلة وخشوع »

« ولما كانت الساعة الثالثة دنا منها راهبتان فهستا في اذنهما وانصرفتا »
 « وهي تتبعها فلم أر زيارتها خوفاً عليها من القلق والحزن فقلت راجعاً الى الحجرة »
 « حيث لبثت انتظر عود الطبيب داود الذي كنت كلننه ان يعود اليها »
 « فيستعلم حالها مرة اخرى فقيمت في الدبر الى الغد قصد ان اشهد سيامتها »
 « فاقف الآن من قصتي الى هذا الحد على أمل ان استوفي هذا الكلام »
 « هما يكون من امر وادي أُملي وما اشهده منها اثناء الحفلة بالرسوم الكنيسة »
 « في يوم رخصت اثاره المخبئة في نفسي المخرينة »
 « (رودلف)

« وهغيب ان انتهيت من كتابي اليك امس استلقيت على فراشي وبينما انا »
 « نائم سمعت بانني رة اجراس تؤذن بحدوث فاجعة فنهضت من رقادي »
 « مذعوراً وكان الليل قد ارخى سدولة ففرعت الجرس للحال قبل امامي مورفي »

«فسالته عن صحة ماري فاجابني انها قد تحسنت
 «آه فوددت لو كنت احرص الى جانبي واما اليوم فلا لشدة ما نابني فيه
 «من الحزن والنم فاخاف ان تؤثر فيك فتزعجك واسفاه انك منذ هذا
 «اليوم تلبسين الحداد على فتحة جبرلوستين واحمرته لقد حماني الدهر من
 «العذاب والشفاء ما ينوء بي ثقله وتركني عرضة للمصاعب والمتاعب
 «فقضيت مدة اقامتي في الغرفة على حال من القلق لا توصف الى ان اذنت
 «الساعة التي بها يحتفل القوم بسيامة ماري فقممت في جملة الحشد انظر اليها
 «بهيون شكرى بالدمع وكانت واقفة امام الهيكل والراهبات من حولها رافعات
 «الحماظن الى السماء وكان على الجانبين فرقة من الجند بالالابسة الرسمية وجوهمهم
 «يذرفون الدمع اشتراكا معي بمصيبي وبعد ان اكتملت رسوم السيامة انصرفتم
 «ماري الى حجرتها حيث استلقيت على فراشها تشكو من العي والجهد فتبعنها
 «الى ان وقفت بها فلما رآني مكمد الوجه كئيبا ادركت سري فقالت
 «- هوّن عليك يا ابي فان صحي من حمد الله تعالى هي احسن من قبل
 «فتقدمت اليها وعانقتها بلهفة واشتياق ثم جلست الى جانبها اتبادل معها
 «الحديث فقالت

«- ابتاه ارغب في ان اخذ عليك ميثاق الوفاء

«- بمايها ولدي

«- هل اناك قصري ما زال كما كان

«- نعم وقد فرضت عليّ زيارته كل يوم صباحا فما هو الميثاق الذي

«ناخذينه عليّ

«- ان نحافظ على حيي ثم ارجوك ان ترسل الى مدام جورج مكثيني

«الصغيرة

«- أليس عندك غير ذلك اقضيه طوع امرك

«- نعم ان ترسل ايضا الى الارب لابيورتي كنسب الصلوة والى ريكولت

« الحلى والجواهر التي عندي وإلى لالوف التي نقيم الآن في الجزائر الصليب
الذهبي المناط في سريري

« — انني سأنفذ أوامرك سريعاً لكن يا ولدي نسيت ان نوصي بشي من
« عندك لشخص يحبك حباً شديداً ألا وهو الذي آلف الحزن منذ يوم
« دخولك الدبر

« فعندئذ احمر وجهها خجلاً وفكرت في نفسها برهة ثم قالت

« — ما شأنه يا ابي

« — الحمد لله انه في عافية

« — وما حال والده

« — قد ابل من علته

« — فالرجاء يا ابي ان تهدي هنري المسجد الذي كنت أجثو عليه فإبالة
« بدموعي ساعة اضرع اليه تعالى سائلة جوده ان يمن عليّ بالسלוى من حب
« هنري

« — اه انه لا ريب سيسر جداً بالتحفة التي تقدمتها له تذكراً لعهده

« الحب والولاء

فما اثم رودلف عبارته الأوراي ماري في حال من الارق فتركها
وحدها وقصد غرفة اخرى

فامسك عن الكتابة فذيل كتابة الى كليمانس بهذه الكلمات

« ان مورفي يتم الكتاب الذي بدأت فيه فينبئك عن الحوادث التي
« جرت في ٢٠ حزيران

.
.

فاخذ مورفي القلم وشرع يكتب ما يأتي

ابنها السبعة المجللة

« اني عملاً باشارة مولاي تجرأت على ان ارسل سموك فاقص عليك ما
 « كان من الحوادث المنجعة في اليوم الثلاثين من حزيران - انني بينا كنت
 « جالساً في غرفتي انجرف فيما جرى من الحوادث بياض ذاك النهار واذا بالرئيسة
 « قد وفدت عليّ وكلفتني ان انهي الى سموسيدي الغراندوق وفاة ولده ماري
 « فتمت للمحال ودخلت غرفة سبدي فحالما رأيته وقد علا وجهي الحزن والكآبة
 « نهض مسرعاً الى مفصدة ولده فالتأها مسجاة على فراشها بين اثواب المنية ولما
 « شعرت به رفعت عينها اليه وفتحت فاما وهمست في اذنه هذه الكلمات الاخيرة
 « (وداعاً يا ابي وصنحاً يا هنري وعنوا يا امي) فجننا للخال رودلف على
 « ركبته فعانق ولده والدمع يتناثر من المآقي كالسواقي ثم تقدم الطبيب داود
 « فحس نبضها فوجد جامداً فارتد حزينا آيساً لان ماري كانت قد جادت
 « بروحها ولما لم يسع رودلف البقاء عند سرير ولده نهض فخرج وخرجت
 « انا باثرة فالتفت اليّ وقال - عليك يا مورفي ان تبلغ الغراندوقه مصابي
 « وتشرح لها عذابي . اني لما وفاة ولدي . قل لها ان رودلف غداً قد انفرد
 « بمجزؤ وانقطع لهمومو »

« فليمت الطلب وقمت اكتب اليك مع الرجاء ان تأتي الى عزائي وسأولاني
 « حين ييل الكونيت فينوي معك على السفر واعلمي ان الغراندوق لا يسأوه
 « الاً بفريق ولا ينعتي الأوفائك وثبات حبك

« وهو الآن جالس قرب سرير ولده لا يرضى ان يفصل عنها قبل ان

« الامين »

« توشد اللحد »

« مورفي »

في ٢٠ حزيران سنة ١٨٤٢

وفي اليوم المعين لحفلة الجنازة جاءت كليانس ووالدها معها ليشهدا الدفن
ويشعما ماري الى حيث واروها في التراب آسفين مسترجعين

